مكتبة المحبة
٩ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت ٣٩٢٥

عظات لكيرلس الكبير

صوت من أعماق التاريخ

إعداد: القمص يسا السرياني

صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث

المقـــدمة

لقد تحولت مصر بكاملها الى المسيحية فى عهدى البابا ثاؤفيلس (٢٣) والبابا كيرلس الكبير (٢٤) • فمنذ ان بدأت المسيحية بمجىء مار مرقس الى مدينة الاسكندرية ، وهى تنتشر فى هدوء كالخميرة وســـط الدقيق • حتى تم اختمار العجين كله فى عهد البابا كيرلس العظيم • فأستمتع الشعب المصرى من الاسكندرية الى أسوان ببركات الديانة المسيحية ، وشخص الرب يسوع ، وبركات الكنيسة المقدسة والحيـــاة الفضلى السامية •

ما أن ارتقى البابا كيرلس (عمود الدين) الى الســـدة المرقسية حتى شمر عن ساعد الجد ، وبغيرة ملتهبة نادى مع داود النبى : « باكرا أبيد جميع أشرار الأرض ، لأقطع من مدينة الرب كل فاعلى الاثم » (مزمور ١٠١ : ٨) •

+ فمشط كل جيوب الوثنية من أرض مصر بالرد على كتب يوليانوس الكافر واستصـــدر أمرا بجمع تلك الكتب وحرقها •

+ ثم اســـتصدر أمرا آخرا باجلاء جميع اليهود عن مدينة الاسكندرية ، بعد مؤامرة دنيئة قتل فيها اليهود مئات المسيحيين : اذ فى ليلة حالكة الظلام أشاعوا أن هناك حريق فى الكاتدرائية الكبرى بالاسكندرية فتدافع المسيحيون لاخماد

الحريق المزعوم ، فأعمل فيهم اليهود تقتيلا وسط الظلام ، وفى الصباح حينما أكتشـــفت المؤامرة الدنيئة حزن البـــابا على شعبه ، وأستصدر الأمر باجلاء اليهود عن المدينة .

+ وبعدما جعل أرض مصر كلها للرب ولمسيحه ، بقى حارسا أمينا وراعيا ساهرا ضد كل هرطقة تحاول أن تظهر فى شعبه فيخمدها فى مهدها . بل وأمتدت عينه الساهرة حتى الى القسطنطينية حيث كان نسطور البطريرك قد سقط فى بدعته المشهورة ، فلم يهدأ حتى أراح الكنيسة من شر ذاك المبتدع الخطير ...

+ كان يكفى لأى انسان فى جيله أو من بعـــده أن يعترف بأنه على ايمان كيرلس حتى يعرف عنه أنه على الايمان القويم ... لذلك لقبوه بـ « **عمود الدين** » **الأن** لاهوته أصفى وأنقى لاهوت . لأن عقله ـ كما يصفه أحد كتاب الغرب ـ كان **منقوعا فى الأسفار الالهية** . هـــذا مع اختبارات حية ، وتذوق لشخص المســـيح له المجد . حتى أن كتـــاباته يمكن وضعها فى مصاف كتابات الرسل الملهمة من الله ...

كان البابا كيرلس ابن أخت سلفه البابا ثاوفيلس . وأعتنى خـــاله بتثقيفه . فبعـــدما أتم دروسه بمدرســـة الاسكندرية اللاهوتية ، أرسله الى البرية لمدة خمس سنوات . تتلمذ فيها على يد شـــيخ حكيم هو الأب سرابيون . فحفظ الأسفار المقدسة عن ظهر قلب ، وكان يقضى لياليه قارئا فى الكتاب المقدس . فكان حصيلة قراءته فى الليلة الواحـــدة :

الأربعة بشائر ، الرسائل الجامعة ، أعمال الرسل ، رسالة رومية للطوباوى بولس .. وكتب عنه د . ميناردوس : (*) « وكانت نعمة الله عليه حتى أنه بمجـــرد قراءة كتاب مرة واحدة ، يحفظه عن ظهر قلب « وابتهج خاله بهذا النبـــوغ قائلا له : « انك بهذه الدراسات ستبلغ أورشليم السمائية ، موضع سكنى القديسين » وعينه مســـاعدا له فى القـــلاية البطريركية ، وكان يكلفه بوعظ الشعب رغم حداثة سنه . فكانت عظاته جذابة تأسر السامعين .

يقول عنه يؤنس كوستن : (*) « كيرلس هو أحد أعاظم الكتاب المسيحيين الأول . أسلوبه فى الكتابة أكثر من جذاب ، يمتاز بالاستفاضة والتنميق والطلاوة . ومعانيه تكشف عمقا فى الذهن ، وغنى فى الفكر مع احكام ووضوح فى البرهان . انه نبيه فطن متمكن من اللغة . لذلك لا غرو أن صـــارت كتاباته هى المصدر الأول للاهوت والعقيدة المسيحية » أ.هـ .

لقد عاش مع نســـاك الصـــحراء ، ينهل من أقوال الله الحيية ، وهناك تكونت شخصيته الدينية الناضجة ، وفهم سر المسيح ، وسر الحياة الالهية التى يعطيها للبشر .

ومن شدة احساسه بالحق ما كان يطيق باطلا ...

(*) OTTO F.A. MEINARDUS,
Christian Egypt Faith and Life.

(*) JOHANNES QUASTEN,
Patrology III.

وموقفه من القديس يوحنا فم الذهب موقف جدير بالاعجاب ، يبين مدى تجرده واخلاصه للحق • فقد رفع الظلم الذى وقعه خاله (سلفه البابا ثاؤفيلس ٢٣) على القديس فم الذهب وأمر ان يذكر فى مجمع القديسين فى القداس الالهى •

وجدير بالذكر ان الكنائس الشرقية تحتفل بعيد نياحة البابا كيرلس عمود الدين يوم ٣ أبيب (١٠ يوليو) وتقرأ أنجيل الراعى الصالح ، الذى عليه عظة فى هذا الكتاب • أما الكنائس الغربية فتحتفل به يوم (١٥ أكتوبر) يوم ارتقاء المسندة المرقسية ، حيث أنه رسم بطريركا بعد نياحة خاله بثلاثة أيام فقط يوم ١٥ أكتوبر سنة ٤١٢م وتنيح فى ٩ يوليو سنة ٤٤٤م وقضى فترة بطريركيته كلها فى جهاد مشرف ، تجعلنا نحنى هاماتنا اجلالا أمام هذا البطل القبطى العظيم ••• وعظامه ما زالت كائنة فى مغارة الكنيسة المرقسية بالاسكندرية •

بركة صلواته تعيد الى كنيستنا مجدها آمين •

وجدير بالملاحظة أن كتاب الغرب قد بخسوا هذا البطريرك القديس حقه • فأرادوا أن يفصلوا بين تعاليمه النقية الصافية الرائقة ، وبين تصرفاته •• آخذين عليه أنه كان يعامل أعداءه بخشونة •• حتى أن كنيسة روما لم تعترف بقداسته الا فى القرن الثامن عشر !؟ وبقيت أقواله وقتا طويلا حبيسة اللغة اليونانية ، ولم تترجم للانجليزية ضمن مجموعات أقوال آباء نيقية وما بعد نيقية مثلا • وأعتقد أن هذا مرجعه :

+ اما خوفا من نشر تعاليمه العقيدية التى كان عليها بطريركنـــا البطل ديوســـقورس ، فتدينهم .. لأن مجمع خلقدونية الذى أخترعة كرسى روما للاطـــاحة بنفوذ كرسى الاسكندرية ، ما هو الا عودة متلكأة للنسطورية التى شجبها البـــابا كيرلس . بقولهم ان المســـيح له المجد ذو طبيعتين ومشيئتين .

+ وأما من تسلط النفوذ الصهيونى ، لأن كيرلس عمود الدين فى عظاته ـ كما سنلاحظ ـ يهاجم اليهود هجوما عنيفا لعدم ايمانهم بالمسيح ، وأيضا بسبب مشاغباتهم التى كانوا يعملونها بمصر .

ولكن شكرا لله انه قد بدأت فى الكنيسة القبطية حركة لنقل وتعريب كتـــابات القديس كيرلس عن اليـــونانية والانجليزية . وأشكر الله أيضا لأنه جعلنى أساهم ولو بقدر ضئيل متواضع فى نقل هذا التراث الضخم الأصيل الى اللغة العربية .

هذا الكتاب يحوى عشر عظـــات التى اســـتطعت أن أحتصل عليها باللغة الانجليزية عن الأفخارستيا ، والتجلى ، والصلاة ... الخ كلها موضوعات تعتبر فى غاية الأهمية من جهة خلاصنا .

+ فالقديس كيرلس ينظر فى تجلى ربنا يسوع المسيح على الجبل بأنه عربون وتذوق سابق لنا ، لما ســـيكون عليه مجدنا فى الملكوت الآتى .

+ ويرى فى اخراج المسيح للروح النجس ، سلطانا لنا نحن فى السيطرة على الشياطين ٠

وبهذا الفكر الآبائى الحلو ندرك عظم النعم الموهوبة لنا فى المحبوب ٠٠

حـــاولت ان تكـــون هـــذه الترجمة ، ترجمة أمينة روحية ٠ وخرجت بها عن الجمود المعتاد الذى تترجم به أقوال الآباء ــ حتى ان الكثيرين يشتكون بأن أقوال الاباء تحتاج الى قراء من نوع معين ، لهم جلد على القراءة ــ لقـــد تصـــورت البابا كيرلس الكبير عمود الدين واقفا يعظ لشـــعب القرن العشرين فى أحدى كاتدرائيات مصر ، ويشرح لهم نفس الفكر اللاهوتى والعقيدى ٠ ولكى أسهل على القارىء استيعاب هذه العظات ، وضعت فى مستهل كل عظه ملخصا موجزا فى نقاط مركزة عن الأفكار التى تشتمل عليها العظة ٠

كما نوهت فى هـــوامش جانبية عن الأفكـــار الرائعة المحتواة فى بعض عبارات القديس ، التى أخشى أن يمر عليها القارىء مر الكرام ٠٠

ووضعت خطوطا تحت بعض الجمل التى تصلح أن تكون عقيدة قائمة بذاتها ٠

ولكن رغم كل هـــذا ، دعنى أهمس فى أذنك يا قارئى العزيز ان أقوال الآباء ــ وبالأخص أقـــوال كيرلس الكبير ــ تحتاج الى قراءة بطيئة متمعنة تقارب المذاكرة ٠ حتى يمكننا أن نلتقى بالجواهر المكنوزه لنا فيها ، فنغتنى بها ٠

أرجو من الله أن يبارك فى هذا الكتاب ليكون **سلاما وبنيانا لكنيستنا** فى هذه الأيام على ضوء الفكر الأبائى الأصيل ...

ولالهنا المجد من الآن والى الأبد ، آمين .

الثلاثاء ٣٠ بابه سنة ١٦٩٣ش
٩ نوفمبر سنة ١٩٧٦ م
عيد ظهور رأس مار مرقس

القمص
ويصا السريانى

الثقة فى الصـــلاة (+)

+ المسيح يحثنا أن نصلى كى نحصـــل على استنارة الروح القدس ، وملء المواهب الروحية .

+ ضمان أستجابة الصلاة أن تكون مرفوعة باسم المسيح .

+ ثمار استنارة الروح التى ننالها بالصلاة هى :

١ ــ الشعور بوجود المسيح معنا دائما .
٢ ــ ملء الفهم والمعرفة وادراك كل شىء .
٣ ــ الفرح والبهجة .
٤ ــ النمو فى كل فضيلة .

الحق الحق أقول لكم ، أن كل ما طلبتم من الآب بأسمى يعطيكم . الى الآن لم تطلبوا شيئا بأسمى . أطلبوا فتأخذوا ليكون فرحكم كاملا (يو ١٦) .

المسيح هنا يشجع تلاميذه القديسين ، ويعلن لهم أنهم سيزدادون فهما وقوة « يلبسون قوة من الأعـــالى » (لوقا ٢٤ : ٤٩) فتستضىء أذهانهم بنور الروح القدس ، ويدركوا كل الأمور الغامضة ...

(+) P.G. 74 Cyril on John.

حينما كان المسيح فى وسطهم بالجسد ، كانوا يرجعون اليه فى كل صغيرة وكبيرة .. فكانوا يسألونه عن كل شىء لا يعرفونه وهو يجيبهم . أما بعد صعوده عنهم الى السماء ، فانهم سيحتاجون الى نور يهديهم لذلك وعـــدهم المخلص بأن يعطيهم روحه القدوس . وبذلك يمتلىء ذهنهم بكمال المعرفة ونور السماء .

وحينما أقول كمال المعرفة ، فاننى أقصـــد معرفة الحق بدون أى تشويش . **فالروح القدس يمنع كل التواء فى الفكر أو فى الكلام** (١) . الانسان الممتلىء من الروح القدس يكون عنده الاعتقاد الصحيح عن الثالوث القدوس الواحد فى الجوهر .

لأننا وان كنا ننظر الآن الأمور الالهية بصورة غائمة كما فى مرآة ، ونعرف بعض المعرفة ، كما يخبرنا الرسول بولس (١ كو ١٣ : ١٢) ، فستظل معرفتنا ناقصة غير كاملة مهما حاولنا أن نمتد فى العلم ونتوسع (٢) ما لم نستنر بنعمة

---

(١) الأفكار المضطربة عن الدين وعن الله ، وكذلك الالتواء فى الكلام عن الدين ، يدل على انطفاء الروح القـــدس فى النفس . ولا يمكن العودة الى صفاء الفكر الدينى ، وقوة الشهادة للحق الا بالصـــلاة من أجل عودة اســـتنارة الروح .

(٢) نلاحظ أن القديس كيرلس يضع الصلاة فوق مســـتوى المعرفة العقلية الدينية التى من الكتب . لأن الصـــلاة تمنح استنارة الروح ، أما المعرفة العقـــلانية (التى بلا روح) فانها تسجس الذهن . **فلنصل اذن ...**

الروح القدس أولا . وننفذ عن قرب ما أعلنه الله فى الأسفار الالهية المقدسة .

لذلك حث المسيح تلاميذه أن يصـــلوا طالبين المواهب الروحية وأعطاهم الثقة أن يسألوا منه هذه العطايا مؤكدا لهم أنهم سينالونها فعلا ، وسوف لا يخيب لهم طلبا .. فلقد أكد كلامه منذ البداية بقوله **الحق الحق أقول لكم ..**

وهذا ، كى ما يقوى ايمانهم فيما يصـــلون من أجله ، فسيحصلون على أى شىء يريدونه من الآب ...

أما المسيح (له المجد) فسيكون وسيطا لهم ، ويطلب نيابة عنهم . ولكونه واحدا مع الآب ، ســـيحقق طلباتهم . وهذا ما قصـــده حين قال : « كل ما طلبتم من الآب بأسمى يعطيكم » . **لأننا لا نقدر أن نقترب الى الله الآب الا عن طريق الابن** . « لأننا به (بالمسيح) قد صار لنا قدوما بروح واحد الى الآب » (أف ٢ : ٨) من أجل هذا قال :

+ أنا هو الباب (يوحنا ١٠ : ٩)

+ أنا هو الطريق (يوحنا ١٤ : ٦)

- لا يقدر أحد أن يأتى الى الآب الا بى (يوحنا ١٦ : ٦)

فالابن اله واحد مع الآب . معطى الصالحات لقديسيه .. كريم وسخى علينا نحن البشر .. وبولس الرسول يشهد على هذا بأوضح بيان قائلا : « نعمة لكم وسلام من الله ابينـــا **والرب يسوع المسيح** » (روميه ١ : ٧) وأيضا « لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، **الانسان يســـوع**

المسيح » (١ تيموثاوس ٢ : ٥) وهو رئيس كهنتنا (عبرانيين ٤ : ١٤) والمحامى عنا (١ يو ٢ : ١) انه يشفع فينا لدى الآب ، وهو الضمان الذى لنا فى حضرة الله ..

فلنقدم صلواتنا اذن فى أسم المسيح ، والآب مستعد فورا أن يستجيب مانحا النعمة لكل طالبيها . وبهذا تبتهج قلوبنا . وحينما نمتلىء بكل موهبة روحية ، ونغتنى بغزارة الفهم والمعرفة الالهية ، بفعل الروح الساكن فينا ، علينا أن نحارب ضد كل خلاعة ، وضد كل الشهوات الشريرة (٣) ونعمل كل ما هو حسن ، ناميين فى كل فضيلة بغيرة ملتهبة .. سالكين فى طريق القداسة مهما كانت وعورته .. فرحين متهللين فى رجاء المجد العتيد أن يستعلن فينا ولا نسمح لأى حزن يثيره ضمير شرير ، بل نثرى متقوين بأفراح المسيح .

ان هذه النعمة (أى الدعاء بأسم المسيح) لم تعط فى العهد القديم . لأنهم لجهلهم ، لم يتبعوا هذه الطريقة فى الصلاة . أما الآن ، فان النعمة موضوعة أمامنا بالمسيح ، وهى مجربة ونافعة جدا . لأنهم لم يكونوا مستقيمين فى زمانهم « اذ الناموس لم يكمل شيئا » (عبرانيين ٧ : ١٩) .

أما الآن فقد جاء ملء الزمان ، وكمل البر ، وأعطى لنا طريق الصلاة الفعالة فى المسيح ، الذى له المجد . آمين

---

(٣) نلاحظ ان القديس قد جعل الصلاة النقية سلاحا نحارب به الشهوات الشريرة والخلاعة التى نواجهها فى حياتنا اليومية .

أسرار ملكوت السموات

+ الأسباب التى جعلت ربنا يسوع المسيح يتكلم بأمثال هى :

١ ــ تحقيقا لنبوات العهد القديم .

٢ ــ لكى يفهم أنقياء القلوب فقط ، أما خبثاء القلب فيسمعون ولا يفهمون .

٣ ــ كى يقرب الأمور المعنوية الى الاذهان بأمور محسوسة .

+ النفوس مسئولة عن فاعلية كلمة الله فيهم .

+ (البـــذار على الطريق) هى النفـــوس القاسية القلب والذهن ، والطيـــور هى الأرواح النجسة .

+ (البذار على الصخر) النفوس السطحية فى تدينها . ولا تصمد أمام الأضطهادات .

+ (البذار وسط الشوك) كلمة الله المخنوقة وسط أهتمامات ، وملذات ، وشهوات الدنيا .

+ كل واحد له موهبته فى الأثمار ٣٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ ولكن علينا ان نطلب أعلى مســـتوى فى الأثمار .

النبوات القديمة المتعلقة بمثل الزارع :

تكلم أنبياء العهد القديم عن المسيح ، بطرق متنوعة .

وأعلنوا أنه هو النور الآتى الى العالم • وقد تنبأوا عن سلطان يسوع وملكه وسموه الفائق • فقال أحدهم : « طوبى لمن له زرع فى صهيون ، وأصحاب فى أورشليم • هوذا بالعدل يملك ملك ، ورؤساء بالحق يترأسون ، ويكون انسان كمخبأ من الريح ، وستارة من السيل » (أشعياء ٣١ : ٩ ، ٣٢ : ١ ، ٢) فقد ألمح بهذا أن كلام مخلصنا سيكون مستورا عنا • وهذا ما سبق المرتل وأخبر به قائلا : « سأفتح بالامثال فمى ، وأنطق بمكتومات منذ الدهر » (مزمور ٧٨ : ٢) •

ها ما سبق الانبياء وأخبروا به قد تحقق الآن فى شخص المسيح • لقد ألتفت حوله جموع كثيرة ، من كل اليهودية ، فكان يكلمهم بأمثال • بعضهم كانت نياتهم خبيثة ولم يستحقوا أن يفهموا أسرار السماء ، لذلك كانت كلماته غامضة ومستورة عنهم • لم يريدوا أن يؤمنوا بالمسيح ، بل قاوموا تعاليمه مجدفين ومستهزئين به وبأتباعه • مشيعين عنه أن به شيطان وهو مجنون لماذا تسمعون له ؟ فلم يعط لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات ، بل أعطيت لنا نحن ، ولكل من عنده استعداد أن يؤمن • « لأنه أعطى لنا فهم المثل والمغزى ، أقوال الحكماء وغوامضهم » (أمثال ١ : ٦) •

ميزة أخرى فى الأمثال ، وهى أنها تصور أمامنا الأمور غير المنظورة الخاصة بالعقل والروح بواسطة أمور ملموسة ممكن أن نراها بعين الجسد • فيمكن للعقل أن يفهم الأمور المعنوية بدقة عن طريق تجسيمها له بأمور يمكن ادراكها بالحواس •

انظروا مقدار عظم الاستنارة التى تمنحها كلمة الله لعقولنا !!

تعالوا الآن لنتأمل فى مثل الزارع ... وما المقصود به ؟ والى ماذا يهدف ؟ لأنه حتى التلاميذ لم يستطيعوا أن يدركوا معناه فى حينه حتى أنهم سألوا المسيح : ما هو هذا المثل ؟

هلم الآن لنتعلم معهم من يسوع نفسه الذى نطق بهذا المثل ..

أولا : البذار الساقطة على الطريق .

لقد وقعت بذارا على جانب الطريق . وجانب الطريق دائما قاسى شديد الصلابة ، لأن كل أقدام العابرين تدوس عليه . فلا يمكن أن تغرس هناك أى بذرة ...

فالذين تقست عقولهم ، لا يمكن لأى كلمة الهية ، أو أى كلمة مقدسة أن تدخل وتنمو فى قلوبهم الصلبة . ولا يمكن أن يثمروا ثمار الفضيلة والفرح . **هذا النوع من الناس تجد قلوبهم مناسة من كل الأرواح النجسة ومن أبليس نفسه ، ولا يمكن أن يثمروا ثمارا مقدسة لأن قلوبهم مجدبة وقاحلة .**

ثانيا : البذار الساقطة على الصخر .

انها النفوس التى لم تأخذ الايمان كموضوع جدى . ان ايمانهم مجرد كلمات ، وهم متدينون فى الظاهر فقط ، ولكن ديانتهم بلا جذور وبلا عمق . انهم يرتادون الكنائس ويبتهجون برؤية التجمعات هناك ، بل تراهم مستعدين

للاشتراك فى الأسرار المقدسة • ولكنهم يفعلون كل هـــذا بلا جدية ، مدفوعين بالخفة والرعونة فى الارادة • انهم بمجرد خروجهم من الكنائس سرعان ما ينسون ويتركون كل التعاليم المقدسة • انهم يحفظون الايمان ما دام المسيحيون فى سلام ، ولكن بمجرد اثارة الاضطهاد على المسيحيين يسرعون فى الهرب الى وضع أكثر أمنا ورفاهية (١) •

يخاطب أرميا النبى مثل هؤلاء قائلا : « أعدوا المجن والترس وتقدموا للحرب » (أرميا ٤٦ : ٣) لأن ذراع الرب المدافعة عنا لا يمكن ان تغلب • كما يقول المعـــلم العظيم : « ولكن الله أمين ، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل ســـيجعل مع التجربة المنفذ لتســـتطيعوا أن تحتملوا » (١ كو ١٠ : ١٣) •

لذلك أيها الأحبـــاء ، ان فرض علينـــا معاناة الآلام والاضطهادات من أجل ايماننا بيسوع المسيح ، فطوبى لنا من جميع الوجوه • فقـــد قال المخلص لتلاميذه القـــديسين : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولا يقدرون أن يقتلوا الروح » (٢) (متى ١٠ : ٢٨) •

---

(١) نلاحظ ان القـــديس يلتزم بتفسير الانجيل من الانجيل • (قارنين الروحيات بالروحيات) ولا يسمح لفكر بشرى أن يتدخل •

(٢) ترجمة حرفية للآية •

لقد أعطانا يسوع هذا التعليم ليس بالكلام فقط بل نفذه فى حياته أيضا • لأن يسوع المسيح قد أسلم حياته عنا وافتدى جميع الناس بدمه فلسنا لأنفسنا بعد ، بل نحن لمن اشـــــترانا وفدانا • لأننا مدينين له بكل حياتنـــا كما قال المطوباوى بولس : « لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الاحياء والأموات » (رومية ١٤ : ٩) •

ثالثا : **البذار الساقطة على الشوك •**

ما هى الأشواك التى تخنق النبتة الالهية ؟ اســـــمعوا المخلص يقول ، حينما تبذر البذار تتلقـــاها تربة النفس • تنبت وتخرج أوراقا وزهورا وبراعم • ولكن هم هذا العالم يخنقها كالشـــوك • لذلك يوصى أرميـــا النبى : « أحرثوا لأنفسكم حرثا ، ولا تزرعوا فى الأشواك » (أرميا ٤ : ٣) •

لذلك ، اذا أردنا أن نستنبت البذرة الالهية فينا ، علينا أن نقلع من عقولنا شوك الأهتمامات الدنيوية •

يا لها من نفوس مخصبة مثمرة ••• تلك التى أنتجت نبتة ضعف • ما أجمل النفوس التى قبلت فى أعماقها بذار كلمة الله ، وحفظتهـــا وتعهـــدتها باهتمام • ان الرب نفسه يطوبها قائلا : « ويطوبكم كل الأمم ، لأنكم تكـــونون أرض مسرة قال رب الجنود » (ملاخى ٣ : ١٢) ما أروع أن تقع البذرة الالهية فى نفس نقية خالية من كل المعوقات لأنهـــا سرعان ما تمد جذورا عميقة • وكسنابل القمح تنتج محصولا وافرا •

لاحظوا ، أن هناك ثلاث درجات فى التلف (الطريق ، الصخر ، الشوك) وهناك أيضا ثلاث درجات فى الأثمار ٣٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ من التأمل فى هذا ، ينتفع من يريد الانتفاع (٣) فمتى البشير قد ذكر ثلاثة أنواع من الجدب ، وثلاثة أنواع من المجد :

— البذار التى سقطت على الطريق ، أكلتها طيور السماء ٠
— والبذار التى سقطت على الصخر ، هلكت سريعا ٠
— والبذار التى نبتت بين الأشواك ، أختنقت ٠

كذلك الأرض الصالحة ، النفوس المطوبة المثمرة : بعضها أنتج مئة ضعف ، وأخرى ستين ، وأخرى ثلاثين كما يقول الطوباوى بولس : « كل واحد له موهبته الخاصة من الله ، الواحد هكذا ، والآخر هكذا » (١ كو ٧ : ٧) ٠

فأعمال القديسين الصالحة ليست على مستوى واحد فى المجازاة ٠ **فعلينا أن نشتاق بكل قلوبنا الى أسمى الأعمال الصالحة** (٤) ولا نكتف بتلك الأعمال التى لها مجازاة أقل : كى ما نحصد بوفرة عند مجىء ربنا يسوع المسيح ، الذى له مع أبيه والروح القدس ٠

المجد والكرامة الى الأبد ٠ آمـــين ؟

---

(٣) القديس هنا يتبع نفس طريقة سيده ٠ فهو يترك المجال لحرية ارادة الانسان دون ضغط أو فرض ٠

(٤) القديس كيرلس يركز على الاشـــتياق ، حتى يكون العمل عن مسرة ٠ جاعلا الحصاد سيكون عند المجىء الثـــانى لربنا يسوع المسيح ، وليس الآن ٠

المسيح يعيد للخليقة بهاءها (+)

+ الروح النجس يشل حركة الانسان .

+ الايمان أمر أساسى لاجراء المعجزة ، وقد أتم يسوع معجزة شفاء الاخرس بدون اظهـــار لايمانه للتعذر فى النطق .

+ اهتم يســـوع بالرد على الافتـراءات ، لاصلاح الاذهان .

+ أصبع الله هو الروح القـــدس ، وهو فينا ، وكما طرد يسوع الشيطان بأصبع الله ، هكذا بالروح القدس الذى فينا يمكننا أن نقهر الشيطان .

+ المسيح يجمع البشر مخلصا اياهم من قبضة الشيطان ، أما الشيطان فهو يحـــاول أن يشتت ما جمعه المسيح .

+ جماعة اليهود ، هم الذين خرج منهم الروح النجس ، ولكن لما رفضوا دم المســـيح ، عادت اليهم بأشد قساوة .

وكان يخرج شيطانا ، وكان ذلك أخرس .

الرجل الذى يتحدث عنه البشير هنا كان يعانى نقصا فى حاسة النطق . كانت حنجرته سليمة ، ولكن بحيلة من

(+) P.G. 72 Col. 699.

الشيطان جعله فاقد النطق وكأن لسانه كان مربوطا • لقد كان محتاجا الى من يقوده لأنه لا يستطيع الافصاح عن نفسه لأنه بلا صوت •

لذلك لم يسأله يسوع له المجد عن ايمانه ـ كعادته فى سائر معجزاته ـ بل شفاه على الفور ، وأخرج منه الشيطان فتكلم •••

فتعجب الجموع •

لقد تحمست الجموع حينما رأوا المعجزة ، وفوجوا بهذا ذلك الانسان ، حتى أن الناس فى غمرة حماستهم وجهوا الى المسيح التماجيد اللائقة بالله •

ولكن بعضا منهم ـ كما يقول الانجيلى ـ أمتلأت قلوبهم حقدا وغيظا ، وهم الكتبة والفريسيين اليهود • فنسبوا كل ما حدث الى قوة الشيطان ، وأستخفوا بالمعجزة • وقالوا انها فقط مجرد مرحلة من مراحل المرض وليس شفاء له • وأرادوا أن يحطوا من قدر الاعجوبة الالهية زاعمين أن الشيطان هو فاعلها • وأنه بواسطة الشيطان يخرج يسوع الشياطين !!

يا للعجب ، يخرج المسيح جحافل أرواح الشر التى تجاسرت أن تتحكم فى أجساد البشر ، ويطردهم منها صاغرين ••• ورغم هذا لم يفلت من ألسنة المغتابين الهازئين • وبدل أن يمجده البشر ، يتكلمون عليه بالشرور !!

لقد حرفت عقولهم قدسية المعجزة ، وقلبوا مفهومها • وحولوها الى جريمة وأتهام قائلين :

« انه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين »
لقد تجاسرت تلك الجماعة المعوجة من الفريسيين الأشرار أن يتهموا عمانوئيل ·· وتطاولوا مغتابين كرامته وجدفوا زاعمين أنه مؤيد بقوة بعلزبول · وهى التى يخرج بها الأرواح الشريرة من المرضى ·· لقد وبخهم الله على فم أنبياء العهد القديم قائلا : « ويل لهم لأنهم هربوا عنى ، تبا لهم لأنهم أذنبوا الى · أنا أفديهم وهم تكلموا على بكذب » (هوشع ٧ : ١٣) ·

وآخرون طلبوا منه آية من السماء يجربونه ·

وكأن قلوبهم قد نخسها منخاس الحقد والحسد ، فسألوه آية من السماء وكأنهم يقولون : أنت يا يسوع قد أخرجت روحا نجسا من انسان ، ولكن هذه ليست بأعجوبة كبيرة · ان اخراجك لروح نجس لا يبين أن عندك قوة سمائية انها ليست كتلك العجائب العظيمة التى كانت فى القديم : كمثل ما قاد موسى الشعب فى وسط البحر مثلا وجعل لهم طريقا فى أعماق المياة · أو كمثل ما ضرب الصخر فتفجرت غدران مياة غزار أروت الشعب العطشان فى البرية · ولا هى مثل المعجزة التى صنعها خليفة موسى (يشوع بن نون) حين أوقف الشمس على جبعون والقمر على وادى أيلون (يشوع ١٢ : ١٢) أو حينما أرجع نهر الأردن ، ووضع حاجزا لمياهه المندفعة ···

لا ·· لا ·· يا يسوع أرنا معجزات باهرة مثل تلك كى لا يشك أحد بأنها معجزات من فوق ·

مثل تلك الأفكار قد تكون قد خطرت على بالهم • ولكن بماذا أجابهم يسوع ؟

فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب •

أول ما نلاحظه ، ان المسيح قد عرف ما يجول في ضمائرهم • وهل يعرف مكنونات القلب الا الله وحده ؟

الأمر الثانى الذى نلاحظه ، هو جبن هؤلاء الناس • لأنهم كتموا هذه الأفكار ولم يجسروا أن ينفثوها من ألسنتهم المسمومة خوفا من الشعب • بل تناجوا بها فى دواخلهم •

أما يسوع فلكى يغير أذهانهم عن ذلك الاجرام الفكرى رد عليهم — ليس من الكتب المقدسة ، لأنهم لا يلتفتون اليها وغالبا ما يحرفون معانيها كى توافق فكرهم الخبيث — بل مما هو شائع ومتفق عليه عرفيا بين الناس فقال : بأن أى مدينة أو حتى بيت ، ان أنقسم على ذاته يخرب بسرعة • هذه القاعدة تنطبق أيضا على مملكة الشر التى يعتقد البشر أنها أقوى مملكة • (١) فلو كانت القوة التى عمل بها المسيح تلك المعجزة قوة شيطانية ، فان مملكة الشيطان تكون قد أنقسمت • فحين تطرد قوة نفس القوة ، تتعارض مع بعضها فتذهب مملكة الشيطان •

---

(١) القديس يمس أعمق مخاوف الانسان ، وطوال هذه المقالة يشجع الانسان بأن قوة الشر والشيطان قد أضمحلت فى المسيح • وأصبحنا منتصرين فعلا •

يا أحبائى ، أنتم تعلمون أن قوة الدول تكون باتحـــاد الشعب • والبيت المتماسك هو البيت القوى حيث لا يكون هناك تعارضا بين الأعضاء (٢)

يستحيل أن تبقى مملكة بعلزبول قوية ان كانت تقوم بأعمال ضد نفسها • فكيف اذن لشيطان أن يطرد شيطانا ؟ ان الأرواح الشريرة لا تخرج من الناس بارادتها • فشيطان لا يحارب شيطانا ، ولا يوجه شيطانا هجوما ضد أتباعه ، والا ستسحق مملكته ، ولكنه حريص ان يدعمها ويوطدها • فأصلحوا أفكاركم اذن ، وأعملوا أننى بالقوة الالهية أسحق الشيطان •

ان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبنـــاؤكم بمن يخرجون ؟

لقد كان الرسل يهودا بالمولد ، وهم قد أعطوا أيضا قوة من الله ان يخرجوا الشياطين بأسم المسيح • لذلك يخاطب ربنا يسوع المسيح الفريسيين قائلا ما معنـــاه : ان أبناءكم تلاميذى يسحقون الشيطان بأســـمى ويحطمون جبروته ، ويطردونه من أجسام المرضى • فزعمكم أنى أخذت قوة من بعلزبول هو زعم باطل وتجديف واضح وجهل شديد • ان شهادة أبنائكم تدينكم لأنهم أستمدوا سلطانهم منى ، وبقوة كانوا يطردون الشياطين ضد أرادتهم من الأجسام التى مسكوا

---

(٢) القديس كيرلس هنـــا يتكلم كرجل وطنى ويحث الشعب على الوحدة ، وأيضا يتكلم كمصلح اجتمـــاعى حاث أولاده على الوحدة الأسرية فى البيت •

بها وجعلوهم يفرون • ولكنكم تزعمون اننى أعمل معجزاتى بقوة الشيطان ••• يا للجحود !!

ولكن ان كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله •

لقد أوضح الرب للفريسيين خطأ فكرهم • وأن ما زعموه ، ما هو الا بضاعة رخيصة معطنة بالاغتياب • فالحق أنه قد أخرج الشياطين بأصبع الله •

انه يطلق على الروح القدس **أصبع الله** أما المسيح نفسه فهو **يد** أو **ذراع الله** (مزمور ٤٣ : ٤ ، أشعياء ٥٣ : ١) فالآب **يعمل بالمسيح كل شيء ، والابن بدوره يعمل خلال الروح القدس** • وكما أن الأصبع مرتبط بالذراع طبيعيا ، ولا ينفصل عنه ، هكذا الروح القدس طبيعة واحدة مع الابن المرتبط ـ رغم كونه منبثق من الآب (فقط) • الابن ـ كما قلت سابقا ـ يعمل كل أعماله خلال الروح القدس المتحد به فى الجوهر •

لقد قال يسوع لليهود أنه **بأصبع الله** يخرج الأرواح النجسة وذلك لنقص الفهم عندهم • ولم يقل مباشرة أنه **بالروح القدس** يخرج الشياطين لأنهم كانوا قساة الاذهان ولا يستطيعوا أن يحتملوا •

لاحظوا هنا يا أحبائى ، أتوسل اليكم :

انه كما أن الآب يصنع عجائبه بالابن ، الروح القدس

هو الذى يكملها . ولكن من حيث انهم واحد فى الجـــوهر ، هكذا بالمثل هم واحد فى الافعال .

ها قد حاصرنا معارض الروح القدس بحصار الحق من جميع الجهات ، وما عليهم الا أن يتقيأوا ســموم أضـــاليلهم ويعودوا الى الله مرة أخرى ملتمسين منه نور الحق ، وهـــو سيعطيهم لأنه شفوق ورحوم ...

أنظروا يا أحبائى ، كأن يسوع يقول لنا : ان كنت وقد صرت انسانا مثلكم قد طردت الشـــياطين بروح الله . فكم بلغت الطبيعة الانسانية ان تتمجد بى وتنال من غنى الملكوت السماوى . لقد بلغت الى مجد سحق الشيطان العاتى وانتهار الارواح النجسة . وهذا هو معنى « ان كنت بأصبع الله أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله »

حينما يحفظ القوى داره متسلحا ، تكون أمواله فى أمان

... لقد أهتم يسوع أن يوضح بأجلى بيان سلطانه الالهى . فأستخدم تصويرا آخر كى يرى كل من أحب ان يرى ، أن يسوع قد غلب رئيس هذا العالم فعلا وأفقده صوابه ، وجرده من قوته ، وأعطى غنائمه لاصدقائه . لأن الشيطان قبـــل المسيح كانت له السطوة ، وكان كل ماله فى أمان غير خائف من أى عنف .. ولكن المسيح الاقوى قد هاجمه فجأة ، وغلبه . وأصبح بلا دفاع .

ان ابليس عدو كل خير — قبل مجىء المخلص — كان يتمتع بسلطان مهول مستحوذا على رعويات كثيرة لم تكن له

فمن الشعب الذى تجاسروا وأرتكبوه أخيرا (٣) يتضح لنا كيف أنهم قد ألتهموا فيئهم من جديد ، وعادوا يتمرغون فى حمأتهم القديمة ، وتردوا فى نجاساتهم وأدناسهم • لأن الروح النجس قد ودخل فيهم مرة أخرى وحالتهم الأخيرة أمسوا من الأولى •

فهذا ما قاله عنهم مخلصنا ، الذى مع الآب والروح القدس يحيا ويسود العالم

بلا نهاية

آمين ؟

---

(٣) لعله ينبوه عن الشعب الذى حدث من اليهود بمدينة الاسكندرية كما ذكرنا فى المقدمة •

الخروف الضال ، الدرهم المفقود (*)

+ انتقـــاد من يترفعون على الخطـــاة ، ولا يعاملونهم بالرحمة .

+ مثل المئة خروف يبين أننا رعية الله ، ومثل الدرهم المفقود يبين أننا على صورة الله .

+ جوهر خلاصنا هو فى مجىء المسيح وحنوه على ضعفنا .

+ الكنيسة هى حظيرة الخراف المـــأمونة من سرقة اللصوص واقتراب الوحوش .

+ لم يهمل الله الـ ٩٩ من أجل الواحد ، بل أهتم بالواحد الضعيف ليعود به قويا مثـــلهم ويضمه اليهم .

+ المسيح هو السراج المنير الذى بنوره يوجد المفقود .

+ فرحة السمائيين بعودة الضال ، وفرحهم بخلاص العالم .

---

١ ـ لأنه لم يرسل الله أبنه الى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم (يوحنا ٣ : ١٧) .

ولكن كيف يخلص العـــالم وهو متلبك فى شـــباك الخطية ؟ هل يفرض الله عقوبة مناسبة على العالم وبعد ذلك

(*) P.G. 72 in Luke.

يخلص ؟ أم يتحنن الله الرحوم فيغفر للانسان خطاياه الماضية ، ويعطى حياة نقية لمن يعيشون وهم غير مستحقين أن يعيشوا ؟

أخبرونى اذن أيها الفريسيين ، لماذا تمرمرتم متذمرين حينما رأيتم عشارين وخطاة يدنون الى يسوع ؟ لماذا أغتظتم حينما رأيتموه يقبلهم ويحنو عليهم كى يجددهم ويعيدهم الى الطريق الصحيح ؟

لقد وضع المسيح ذاته عنا ، لقد أخذ شكل العبد وصار مثلنا • فهل تخطئون حكمة ابن الله الوحيد ؟ جميع الانبيـــاء القديسين سبحوا الله من أجـــل حكمة سر تجســـده الالهى ، افتتجاسرون أنتم أن تستجوبونه عن أعماله التى كان مفروضا عليكم أن تسبحوه من أجلها ؟

هوذا داود النبى يرتل قائلا : « رتلوا له بفهم لأن الله ملك على الأمم » (مزمور ٤٦ : ٨) وأيضا حبقوق النبى يقول أنه سمع أخبار الله فجزع (٣ : ٢) •

لقد ضل الجنس البشرى على وجه الأرض ، وتاه بعيدا عن راعيه الحنون ، من أجل هذا نزل الينا الراعى الصـــالح الذى يرعى قطعانه السمائية فى الأعالى كى يعيدنا اليه (١) ويجعلنا

---

(١) القديس كيرنس يرى أن ثمار الخلاص هى :
١ ــ انقاذنا من الأرواح النجسة التى كانت تفترس فينا •
٢ ــ اشراق المسيح بحنانه علينا •
٣ ــ عودة الصورة الالهية لنا •
٤ ــ رجوعنا للرفقة مع السمائيين وفرحة الملائكة بنا •

واحدا مع خرافه التى لم تضل عنه .. أتى المسيح ليطرد عنا الوحش المفترس الشرير ، ويحبط مسعى السراق الدنسين ، الذين هم الأرواح النجسة باحثا عن جنس آدم المفقود .

أنظروا أيها الأحباء ، كم كانت همهمة اليهود على المسيح باطلة وغبية !! والآن تأملـــوا فى حكمة الله العجيبة وتدابيره الالهية الفائقة .

ان الرقم ١٠٠ يشير الى امتـــــداد ملكوت مخلصـــــنا وأتساعه . عدد القطيع مئة ، وهو ملء وكمال عدد الكائنات العاقلة الطائعة له . عدد مئه هو عدد كامل . انه يتكون من عشرة عشرات . دانيال النبى يخبرنا أن الوفا الوفا وقوف قدامه ، وربوات وربوات يقدمون له الخدمة (دانيال ٧ : ١٠) رقم مئه هو عدد خراف القطيع الذى تاه أحداها . وبالتحديد : جنس البشر .

فذهب راعى الكل الأعظم ، باحثا عن الخروف الضال ، تاركا الباقى فى الصحراء أى فى المناطق البعيدة النسائية التى يكتنفها السلام .

قد يتسائل أحد : هل أهمل الراعى خرافة الكثيرة العدد متتبعا ذلك الشارد الوحيد ؟ يستحيل أن يهملهم طبعـــا . لأنهم محروسون بكل عناية وضمان كلى ، تظللهم يمين العلى . ولكنه تحنن على الخروف الواحد الذى كان مفقودا ، وبحث عنه لكى يجده فيضمه الى القطيع ولا ينقص من المجموع شىء . لأنه

عندما أعيد ذلك الواحد ، رجع القطيع الى رقم مئة : العدد الكامل مرة أخرى • ولنوضح هذا بمثل آخر كى نبين بأجلى بيان حنان ربنا يسوع المسيح الفائق لخلاص جنس البشر : لو أن أحد أفراد اسرة كبيرة رقد مريضا • فلمن سيعنى الطبيب ؟ اليس للشخص المريض ؟ بل أن باقى أفراد الأسرة سيقفون كلهم على أهبة الاستعداد لتقديم الخدمات اللازمة للفرد المريض ••

هكذا الله مدبر كل الأشياء يمد يد الخلاص للخروف الضال الذى فداه راعى الخراف الأعظم فعلا •••

راعى الخراف ، قد بحث عن الخروف الذى كان قد ضل بعيدا وأرجعه الى حظيرته المضمونة — التى هى الكنيسة (٢) فى أمان من سرقة اللصوص وأفتراس الوحوش • فلنسبحه من أجل عظائمه معنا ، ولنرتل مع النبى : « صهيون لنا مدينة قوية • خلاصا ، وسورا ، وحصنا سيقام داخلها » (اشعياء ٢٦ : ١) •

٣ — مثل الدرهم المفقود الذى قاله ربنا يسوع المسيح بعد هذا ، له نفس المعنى • أمرأة لها عشرة قطع من الفضة ، فقدت أحداهن ، فأوقدت سراجا وفتشت بأجتهاد حتى عثرت على القطعة الفضية • ففرحت بها جدا فرحا مناظرا للفرح السمائى •••

---

(٢) الكنيسة فى نظر القديس كيرلس هى كمال خليقة الله •• وهى مزج السمائيين بالأرضيين •

الخروف الضال فى المثـــل السابق كان رمزا للجنس البشرى على الأرض • انه واحد من مئة • ولكن فى هذا المثل : القطعة المفقودة هى واحدة من عشر قطع • فمن المثـــل الأول نتعلم أننا ننتسب الى الله العلى الخالق كل الأشياء ، كما هو مكتوب : « انه خلقنا وليس نحن ، ونحن شعبه وغنم مرعاه » (مزمور ٩٩ : ٣ ، ٩٤ : ٧) •

ومن المثل الثانى نتعلم أننا مخلوقين على صـــورة الله العلى • الصورة الملكية • الأن (الدرخما) عبارة عن عملة من قطعة فضية منقوش عليها صورة الملك • **لقد كنا ســـاقطين ومفقودين ، ولكن المســـيح بنعمته وجدنا ، وهدانا الى حياة النور • فصرنا مثله من جديد** •

القديس بولس يكتب هكذا قائلا : « ونحن جميعـــا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة **نتغير الى تلك الصورة عينها** من مجـــد الى مجد كمـــا من الرب الروح » (٢ كو ٣ : ١٨) وفى رسالته الى أهل غلاطية يكتب : « يا أولادى الصغار الذين أتمخض بكم **الى ان يتصور المســـيح فيكم** (٣) » (٤ : ١٩) •

---

(٣) المسيح هو الصورة البشرية الكاملة ، التى يتحول اليها كل انسان بعمل النعمة • أمل كل مسيحى ان يطابق حياته على حياة المسيح ويكون له فكر المسيح ، وسمات الرب يسوع • بذلك نعود الى صورتنا الالهية الأولى التى نكـــون عليها فى السماء ، ما أروع هذا الفكر الآبائى !

اضاءت المرأة سراجا ، وبحثت عن المفقود بحثا مدققا ..
السراج هو المسيح الذى بتدبير الله الآب قد جعل النور الالهى يضىء فينا مرة أخرى يسوع هو : « السراج المنير فى موضع مظلم الى ان ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم » (٢ بطرس ١ : ١٩) انه كوكب الصبح المنير ، وهو شمس البر أيضا . تحدث عنه الله بصوت النبى قائلا : « سريعا سيخرج برها كضياء ، وخلاصها كمصباح يتقد » (أش ٦٢ : ١) وقد قال يسوع عن ذاته « انا هو نور العالم » (يو ٨ : ١٢) وأيضا « أنا قد أتيت نورا الى العالم ، كل من يتبعنى لا يسير فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » (١٢ : ٤٦) فى هذا **النور ، الذى هو ربنا يسوع المسيح** قد وجد المفقود وخلص .

الأمر الذى جعل القوات السمائية تتهلل لأنهم يمتلئون فرحا بخاطىء واحد يتوب ، ويتهللون بتحقيق الارادة الالهية مسبحين الله الى الأبد من أجل تحننات الالهية الرقيقة . فكم يكون عظم فرحهم بخلاص العالم كله (٤) وعودة كل البشر الى معرفة الحق ، والايمان بالمسيح .

الذى له مع الآب والروح القدس .

الكرامة والمجد الى أبد الآبدين آمين .

---

(٤) القديس كيرلس يؤمن بأن العالم كله سيخلص ويؤمن بالمسيح . وستجثو بأسمه كل ركبه ، الأبرار عبادة وفرحا ، والأشرار غصبا وادراكا للحق الذى لم يؤمنوا به .

الراعى الصـــالح (*)

+ الفرق الجـــوهرى بين الراعى الصـــالح والاجير ، هو أن الراعى الصالح يفتـــدى خرافه بحياته ، أما الأجير فهو يستغل الخراف لذاته حتى لو ذبحهم للذئاب .

+ أعمال فداء المسيح تجعله راعيـــا حقيقيا أبديا علينا .

+ رفض اليهود رعـــاية الله لهم ، لذلك حق عليهم اللعنة .

+ معرفتنا بالمسيح هى علاقة وألفة به .

+ حينما أخذ المسيح جسد بشريتنا جعلنـــا شركاء فى الطبيعة الالهية واأتلف معنـــا . فهو راعينا الصالح حقا .

+ التجسد ، يجعل امكانية الخلاص للجميع بلا استثناء كما أن قيامة المســـيح أعطت امكانية القيامة لكل بشر : ولكن قيـــامة المؤمنين هى للفرح ، أما قيامة الأشرار فللعذاب .

+ المسيح سبق وعرفنـــا ، وهو يعطينـــا الاستنارة لمعرفته .

+ المسيح يوقف الاجراء عن الرعاية ، ويرعى قطعانه بنفسه يهودا وأمميين على حد سواء .

(*) P.G. 73 book VI.

لقد عانى الشـــعب قديما من اهمـــال الرعاة ، وكانوا « منزعجين ومطروحين كغنم لا راعى لها » لقـــد تفشت فيهم الشرور من جراء تضليل الرعاة المزيفين الذين أتوا بثيـــاب حملان ، ولكنـــهم كانوا من الداخل ذئابا خاطفة . الآن قد جاء يسوع فى الوسط ، ونادى بصوت عال : **أنا هو الراعى الصالح .**

— فلينهزم اذن أولئك الرعاة المزيفون وكل تابعيهم ، ولينتصر الحق وحده .

لقد أتى يسوع الراعى الحقيقى مهتما بخرافه ... وعيهما تآمروا عليه فهو لا يكف عن الرعاية حتى يستخلص من أيديهم كل خرافة (١) .

أيها الرعاة الكذبة .

+ ان كلام الخير المعسول الذى تقولونه هو شر .

+ انكم ممتلئون من محبـــة الذات ، لذلك لا تحكمون بالناموس ولا تخدمون الله معطى النـــاموس ، بل لانفسكم تخدمون .

+ انكم غير مستحقين أن تعلموا بالنـــاموس ، لأنكم بأعمالكم تناقضـــون أوامر الناموس ، وتدوســـون فرائض بأقدامكم .

+ ربنا يسوع المسيح هو النـــور الحقيقى الذى أتى وسط العـــالم ، وأنتم تريدون أن تجعلوه فى ظلمة « وويل

---

(١) المسيح مصمم على رعاية خرافه بنفسه .

للقائلين عن الشر خيرا وعن الخير شرا . القائلين عن المر حلوا وعن الحلو مرا القائلين عن النور ظلاما ، وعن الظـــلام نورا » (أشعياء ١٥ : ٢٠) .

+ بل تجاسرتم أن تدعوا على راعينا الصالح أنه من أولئك الرعاة المزيفين ، وليس له رسالة الهية !

+ بل حاولتم أن تغرروا بالبسطاء ، وتخدعوا قلوب السلماء وتحولونهم عن الحق – تحت حماية اسم موسى النبى – طلبتم أن يخضعوا لكم ولا يخضعوا لله .

+ هل تذكرون شمعيا النحلامى ، الذى تنبأ كذبا أمام أرميا النبى ، كيف أظهر الله زيفه وعاقبه . رغم أن الملك صدقيا وقتها قبض على أرميا وألقاه فى السجن . بينما ترك النبى الكذاب الآخر طليقا (أرميا ٢٩ : ٢٤ – ٣٢) .

ان الفريسيين اليهود التعساء ، الذين تفوقوا فى الشر إلى أبعد الحدود قد ملأوا مكيال آبائهم فى الاثم بصورة خرافية. فلم يعتبروا المسيح حتى ولا كأنه واحد من معلميهم الكذبة ، بل كانوا ينادون فى الشـــعب الملتف حوله ، الشـــغوف بالاستماع اليه : « أن به شيطان وهو يهذى ، لماذا تسمعون له » (يوحنا ١٠ : ٢٠) لذلك يبكتهم الله بفم نبيه : « ويل لهم لأنهم هربوا عنى ، تبا لهم لأنهم أذنبوا . أنا أفديهم وهم تكلموا على بكذب » وأيضا « يسقط رؤسائهم بالسيف من أجل سخط ألسنتهم » (هو ٧ : ١٣ ، ١٦) .

+ وهكذا أستحقوا أمر العقوبات على افتراءاتهم الجسورة

على شخص ربنا يسوع المسيح ، قائلين عليه قولا لا يخرج الا من كانوا على شاكلتهم فى الأثم • والاجرام •

الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف • وأما الذى هو اجير وليس راعيا الذى ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلا ويترك الخراف ويهرب • فيخطف الذئب الخراف ويبددها • والاجير يهرب لأنه أجير ولا يبالى بالخراف •

لقد رد يسوع على مهاترات اليهود بمهارة • فبين لهم كمال أفعاله فى مقابل افتراءاتهم الباطلة عليه • ثم هاجمهم ، موضحا كيف أنهم كاللصوص الذين يتسلقون الى حظائر الغنم كى يسرقوا ويذبحوا ويهلكوا • أما هو فهو الراعى الحقيقى ••

كان الفريسيون فى غاية الاهمال نحو رعاية الشعب ، ولا يبالون بقطعانهم على الاطلاق ، أما يسوع فكان حريصا محبا وفى غاية الاهتمام بكل فرد •

الكتبة والفريسيون رعاة قساة لا يشعرون بمسئولية حتى لو ماتت الخراف وهلكت ، وليس فى قلبهم شفقة ولا التزام •• أما يسوع فهو الراعى الصالح المستعد أن يبذل نفسه عن الخراف • **انه يفتدى خرافه بدمه** • وهذا ما أتمه بالفعل :

فالانسان حينما سقط فى الخطيئة ، انفصل عن حب الله وحرم من الاقامة فى الفردوس • فبات هزيلا ضعيفا لا حول له ولا قوة • فطمع فيه الشيطان ، وبدأ يهاجمه ويجربه بالشرور • فأستسلم الانسان ودخل الى طريق موت الخطيئة •

وهناك أحاطت به الذئاب الشرسة الخـــاطفة .. وكادت أن تفترسه . ولكن أتى المسيح .. الراعى الحقيقى لكل البشر **وبذل حياته عنا** (١ يو ٣ : ١٦) وقاتل كل جمهرة الوحوش المؤذية .

+ لقد حمل الصليب عنا كى يميت الموت بموته .
+ لقد قبل أن يدان عنا ، كى ينقذنا جميعا من العقوبة التى حكم بها علينا .
+ لقد أذل طغيان الخطيئة الذى كان سائدا علينا بايماننا به.
+ لقد سمر حكم الموت الذى كنا مستحقيه . ســـمره على الصليب كما هو مكتوب (كو ٢ : ١٤) .

انظروا يا أحبائى ، كم تحمل راعينا الصالح يسوع لكى يفدينا :

ان أبليس أب الخطيئة كان قد أغلق على الخراف فى الجحيم « وجعلهم طعاما للموت » (مزمور ٤٩ : ١٥) كما يقول سفر المزامير . ومات المسيح الحقيقى الصلاح ، وراعينا الحقيقى ، فأنقشعت ظلال الموت عنا ، وأعادنا للرفقة السمائية المباركة مرة أخرى . وبدل أن كنا سنسكن فى قاع الجحيم والهاوية وفى أماكن البحر الخفية المرعبة ، أعطانا منازلا فى بيت الآب السماوى لذلك يخاطبنا قائلا : « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢) .

هذا هو المسيح راعينا الحقيقى ...

فلننظر الآن بعين فاحصة الى الرعاة الآخرين . اننـــا

لا نراهم الا اجراء ، رعاة زائفون ، جبناء ، منافقون ، قتلة ، لا يعنيهم خلاص الخراف لا فى كثير ولا فى قليل ولكن كل حرصهم هو فى مجدهم الشخصى . وطبقا لقول المخلص انهم أجراء لأن الخراف ليست لهم بل هى خراف المسيح الذى أستأجرهم واختارهم ليشغلوا المناصب العالية كحكام وكهنة لشعبه .. فلم يهتموا بالخراف المسكينة ، بل ذبحوها للذئاب كما سنذكر هنا بايجاز :

فى القديم اتخذت أسباط اسرائيل الله الها لهم ، وملكا وحيدا عليهم ودفعوا له شاقل (٢) التقدمة كضريبة أو كجزية علامة على وطنيتهم .. وظلوا هكذا حتى أتاهم ذئب مفترس غريب الجنس ، فاستعبدهم وجعلهم تحت نير ملوك أرضيين فضلوا بعيدا ، وعاشوا مقهورين فى المذلة حياة غريبة عن الله ، واستوفت الملوك الأرضيين منهم الجزية لأنفسهم وسلبوهم ملكوت الله .. فحطمهم البؤس ، واضطروا ان يخضعوا بألاجبار للاستبداد ..

أيضا تغربوا عن سلطان الله . لان سبط لاوى الذى كان لله قد اعطاه اجراء احكامه ومنحه سلطان القضاء بالعدل الالهى ، هؤلاء عوجوا القضاء ولم يعلنوا حق الله ، بل مالوا الى المكسب وجعلوا بيت الله مغارة لصوص ..

---

(٢) شاقل القدس : وهى كمية من المال تدفع لله ، كما تدفع ضرائب الدولة .

لقد صلك مستعمروهم عملاتهم وعليها صورتهم ، وقهرهم بصورة لا مثيل لها ، ولم يكن رعاتهم ســـاهرين ·· لانهم بمجرد أن رأوا الذئب مقبلا تركوا القطعان وهربوا لأن الخراف لم تكن لهم ·· فلم يقدروا حتى أن يصلوا طالبين من الله ان يدافع عنهم ·· مع أن تاريخهم كان مليئا بتدخل الله لنصرة شعبه ·

+ ألم ينجيهم من سبى بابل ·

+ ألم يطرح الاشـــوريين عنهم

+ ألم يهلك ١٨٥ ألفا من الاعداء بيد ملاكه ·

(٢ ملوك ١٩ : ٣٥)

ولكنهم استسلموا للحكم الاجنبى ، وتفككت كل أواصر الرابطة بينهم وبين الله · ويمكننـــا أن ندرك مدى تحللهم وانحلالهم عن الله من هذه الحادثة :

لقد وبخ بيلاطس اليهود على تسرعهم فى طلب صلب الرب بدون وجه حق ، حينما كانوا يصرخون أصلبه ، أصلبه · فرد عليهم متهكما : « هل أصلب ملككم ؟ أما هم ، اذ قد طرحوا عنهم كل فرائض الله ، وكسروا كل رابطة تربطهم بالناموس القديم ، صرخوا بوقاحة قائلين : « ليس لنا ملك الا قيصر » ويبدو ان هذا التصريح كان مقبـــولا لدى حكامهم · لأنهـم برفضهم تملك الله عليهم سيدومون فى البؤس والشـــقاء ، راضخين لنيرهم دون مقاومة ··

بعدل قد أدينوا أولئك الرعاة الاجراء ، لأنهم السبب

فمن قتل الخراف • انهم لا يستحقون الرعاية بعد لأنهم جبناء • لقد تركوا الخراف المودعة لهم نهبا للغرباء دون أن يدافعوا أو يقاتلوا عنها • لذلك وبخهم الله قائلا : « الرعاة بلدوا ، والرب لم يطلبوا ، من أجل ذلك لم ينجحوا وكل رعيتهم تبددت » (أرميا ١٠ : ٢١) •

من تلك الأحداث ، نرى مقدار صلاح رعاية المسيح لخرافه ، ومقدار زيف الرعاة الآخرين المفسدين • انهم وباء وليسوا رعاة ، ولا يستحقون أى مديح •

أنا هو الراعى الصالح •

كالفرق بين النور والظلمة ، هكذا الفرق بين رعاية المخلص ورعايتهم •• ان الرب انتصر وغلب لصالح خرافه • أما الأنبياء الكذبة فاعلى الشر ، فقد أتوا وسط قطعانهم لا لشئ الا الآن يسرقوا ويذبحوا ويهلكوا ويضللوا ، لأنهم كذابون فى كلامهم ، ولا ينطقون عدلا على الاطلاق • أما المسيح فقد أتى ليس فقط ليعطى خرافه حياة ، بل ويعطيها أسمى حياة وأفضل حياة • لذلك فهو ينادى : « أنا هو الراعى الصالح » • واضعا ملامح الرعاية السليمة • فالراعى الصالح هو الذى يكون مستعدا أن يموت عن خرافه ، ويضع حياته عنهم طواعية •

أما الغريب الاجير الذى نصب راعيا عليهم ، نراه جبانا ، هاربا ، فارا بمجرد اقتراب الذئب •

لقد كرر يسوع القول بأنه هو الراعى الصالح ، عالما أنه هو نفسه الذى سيبذل نفسه عن خرافه . لأنه يجب أن يفوق جميع الرعاة ، ويكون « متقدما فى كل شىء » (كو ١ : ١٨) فالمرتل داود كان يتكلم عنه حقيقة حين قال : « لكى تتبرر فى أقوالك ، وتغلب متى حوكمت » (مزمور ٥٠ : ٦) .

يا أحبائى ، اننى أعتقد أن الرب بقوله أنا هو الراعى الصالح ، يضع أمام الشعب اليهودى ما يؤول الى خـــلاص أنفسهم .. انه يعود بذاكرتهم الى نبواتهم التى يؤمنون بها ، مشيرا بأنه هو الراعى الحقيقى الذى قال عنه حزقيال النبى . وأن الآخرين ليسوا رعاة حقيقيين . فمن هذا عليهم ان يؤمنوا بالمسيح :

« هكذا قال السيد الرب للرعاة : ويل لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم ألا يرعى الراعى الغنم ؟ تأكلون الشحم ، وتلبسون الصوف ، وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم . المريض لم تقووه ، والمجروح لم تعصبوه ، والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه ، والضال لم تطلبوه . بل **بشدة وبعنف** تسلطتم عليهم فتشتت بلا راع وصارت مأكلا لجميع وحوش الحقل وتشتتت . ضلت غنمى فى كل الجبـــال وعلى كل تل عال وعلى وجه الأرض تشتت غنمى ولم يكن من يسأل أو يفتش » (حزقيال ٣٤ : ٢ ـ ٦) .

لأن أمرا واحد هو الذى كان يشـــغل أذهان معلـــمى اليهود ، وهو حب المكسب والرغبة فى الاثراء من التقدمات التى كانت تودع لهم ، والنهم فى جمع المال . أما الشعب فلم

يستفد منهم بشيء • لذلك رفضـــهم الله وأعلن عن الراعى الصالح الحقيقى الآتى فيقول :

« هكذا قال السيد الرب ، هائنذا على الرعاة ، وأطلب غنمى من يدهم ، وأكفهم عن رعى الغنم • ولا يرعى الرعـــاة أنفسهم بعد • فأخلص غنمى من أفواههم فلا تكون لهم مأكلا »
(حزقيال ٣٤ : ١٠)

وبعدها بقليل قال :

« **وأقيم عليها راعيا واحدا فيرعاها** وسيكون راعيا لها • وأنا الرب أكون لهم الها ، وعبدى داود رئيسا فى وسطهم • أنا الرب تكلمت • وأقطع معهم عهد سلام ، وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض فيسكنون فى البرية مطمئنين ، وينامون فى الوعور ، وأجعلهم وما حول أكمتى بركة • وأنزل عليهم المطر فى وقته فتكون أمطار بركة • وتعطى شجرة الحقـــل ثمرتها ، وتعطى الأرض غلتها » (حزقيال ٣٤ : ٣٣) •

بهذه الكلمات القـــوية ، يعلن الرب قرار اقصـــاء الفريسيين الأثمة عن العمل الرعوى ، ويعلن أيضـــا مجىء المسيح الذى سيولد من نسل داود حسب الجسد وأنه هو الذى سيرعى ويحكم قطعان المؤمنين • لأن المسيح هو عهـــد سلام بين الله والبشر : فهو الذى أعلن البشرى الالهية لكل البشر (٣) وهو الذى ادخلنا الى صداقة الله والسير معه • وهو

---

(٣) ثمار رعاية المسيح لنا :
١ ـ سلام وصداقة وعهد أبدى بيننا وبين الله • =

الذى سهل لنا الدخول الى ملكوت السموات • وبواســـطته أيضا قد صار مطر البركة الذى هو أول ثمـــار الروح حيث تمتلىء النفوس بخصوبة الروح بعد أن كانت مقفرة مجدبة • لأن الفريسيين كانوا قد أضروا بقطعانهم ضررا بالغا ، حتى أنهم كانوا يهملون تغذيتهم ، وقد تسببوا فى أذيتهم بصورة رهيبة •••

أما المســـيح المخلص ، فهو معطى وموزع الخيرات من الأعالى ، لذلك ما أصدق قوله : **أنا هو الراعى الصالح !!**

حينما يسمع بعضكم القول الذى فى نبوءة حزقيال : « وعبدى داود رئيسا » ربما يهمهم ويغمز البعض قائلا ان الله الآب يدعو المسيح الآتى من نسل داود عبده (٤) لا يتشكك أحد فى أن المسيح هو من طبيعة الله ، وهو أبنه الحقيقى • أذكروا بالحرى أن المسيح قد أخلى ذاته ، متخليا عن مجـــده آخذا هيئة عبد • لذلك يدعوه الله الآب عبدا لأنه أخذ شكل العبد •

= ٢ ـ أدخلنا الى ملكوت السموات •
٣ ـ سكنى الروح القدس فينا •
٤ ـ هطول البركات السمائية علينا •

(٤) القديس لا يترك أى ثغرة فى العقيدة ، حتى ولو كانت فكرة اعتراضية •

وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى ، كما ان الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب .

البعض هنا يفسرون على الفور أن الرب يسوع المسيح سيظهر نفسه لخاصته الذين سيؤمنون به ، كما أنهم سيكونون معروفين منه ...

حقا ، ان أسمى شىء يقتنيه الانسان هو معرفته بالله .

ولكن تفسير هذه الآية ليس بهذه البساطة . اننا نحتاج الى جهد وفحص وتمعن كى نفسرها وبالاخص الفقرة الثانية التى تقول : « كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب » لانه من من البشر يتجاسر ويقول أنه يعرف المسيح كمعرفة الله الآب به ؟ فالآب وحده هو الذى يعرف ابنه الوحيد طبقا لقول المخلص : « ليس أحد يعرف الابن الا الآب ، ولا أحد يعرف الآب الا الابن» (متى ١١ : ٢٧) .

الآب هو الله ، كذلك الابن هو الله ، ونحن نعرفه ونؤمن به ، ولكن ما هو جوهر الالوهية وطبيعتها ؟ هذا ما لا يمكن لانسان أن يدركه لأنها فوق مقدرتنا ، ومقدرة كل المخلوقات .

لنرجع الآن الى الآية التى نحن بصددها ...

كيف سنعرف المسيح اذن كما يعرفه الآب ؟ يجب أن نبحث جيدا عن قصـــده فى القول بأنه ســـيعرفنا ونحن سنعرفه ، وان هذه المعرفة ستكون من الطراز الذى يعرف هو به الآب ، والآب يعرفه . ويجب أن نحترس فى تفسيرنا

وشرحنا لهذه الكلمات حتى لا تتعارض مع ما قيل سابقا .

على أيه حال ، اننى سأبدى رأيا ، وسأقول ما أعتقد أنه التفسير الصحيح أما الآخرون أحرار أن يأخذوا به أو لا يأخذوا (٥) اننى أؤمن أن المعرفة هنا لا تؤخذ بمعنى المعرفة العلمية التحليلية ، بل بمعنى **الألفة والعلاقة** التى تكون بالطبيعة أو بالقرابة ، أو الناتجة عن مشاركة الشرف والمركز . فكلمة معارف باللغة اليونانية (وأيضا باللغة العربية) تعنى أصدقاء أو أقارب رابطة الدم . وقد أستخدمت هذه الكلمة كثيرا فى الأسفار المقدسة بهذا المعنى فمعرفة شخص تعنى اقامة معه وألفة به .

لقد قال الرب فى أحد الآيات : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم ، يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا ؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم **انى لم أعرفكم قط** » (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

فان كانت المعرفة المقصودة فى هذه الآية هى المعرفة بمعناها العلمى والتحليلى الشائع ، فكيف لرب المجد ان لا يعرف بعضا من خليقته ؟ فى حين انه هو « الذى كل شىء عريان ومكشوف لعينية » (حبقوق ٤ : ١٣ ، دانيال ١٣ : ٤٢) .

---

(٥) من روائع مرونة الفكر عند القديس كيرلس ، انه لا يفرض رأيا على أحد .

« والذى يعرف كل الاشياء قبل كونها » (حزقيـــال ٣٢ : ١٢) .

فلو قلنا أن هناك بعضا من الناس لا يعرفهم اللّه ، أما يكون قولنا هذا اثما وتجديفا ؟ ولكن التفسير المعقول هو ان المسيح لم يكن له ألفة ولا علاقة بهم من أى نوع . انه لم يعرفهم كأناس غيورين على عمـــل الفضـــائل ، أو كأناس يتمسكون بأقواله وتعاليمه بكل احترام وتوقير ، ولا يرتبطون برابطة الأعمال الصالحة .

بنفس الطريقة يمكن أن نفهم قول الرب لموسى : « لأنك وجدت نعمة فى عينى وعرفتك باسمك » (خروج ٣٣ : ١٧) بمعنى أن موسى كان على علاقة وألفة مع اللّه أكثر من الباقيين ، فنال نعمة أكبر .

وقولى هذا لا يلغ أن الاية أيضا تشير الى قوة المعرفة والادراكات .. فقول المسيح يا أحبـــائى : **أعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى ، كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب** يعنى أنه منتسب الى خرافه ، وخرافه مرتبطة به على طراز انتساب الآب اليه ، وارتباطه هو بالآب .

الآب يعرف ابنه الوحيد الحقيقى الذى هو ثمرة جوهره ، كما أن الابن يعرف الآب عالما أنه هو الاله الحق ، وأنه يستمد وجوده منه .

هكذا نحن بنفس الطريقة ، ننتسب له كانتسابه هو

لعائلته : فنحن ندعى أبناءه كما قال هو « هانذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » (أش ٨ : ١٨) اننا حقا **ذريته** (أعمال ١٧ : ٢٩) ، اننا نحمل اسم الابن ، وبفعله نحن نحمل اسم الآب أيضا • فرغم أن الابن مولود من الآب قبل كل الدهور ، وهو الله الحق ، الا أنه قد صار انسانا آخذا طبيعتنا ، ما خلا الخطيئة وحدها • أنظروا يا أحبائى :

+ اننا **ذرية الله** ، ونحن **شركاء الطبيعة الالهية (٢ بطرس ١ : ٤)** •

+ **ان لنا قدراً من المجد الالهى** ، ليس فقط من أجل أن المسيح قد قبلنا أقرباء له ، بل بسبب قوة العلاقة التى بيننا وبينه •

+ الكلمة هو الله ، والكلمة صار جسدا ، وحل فى جسم ، بشريتنا ، وظل الها بالطبيعة •

+ اننا أقرباءه ، لأنه أخذ جسدا مشابها لنا •

هكذا أيضا من حيث علاقتنا به :

+ المسيح منسوب الى الآب من أجل مساواته بالطبيعة والجوهر •

+ والمسيح قد تجسد وصار انسانا ، فنحن منتسبون له لأنه أتخذ شكل بشريتنا •

+ فعن طريق وساطة المسيح نتحد بالله الآب • فالمسيح ، **كأنه الحد الذى اتحدت عنده الطبيعة الالهية الفائقة ، والطبيعة البشرية** • كلاهما فيه ومحتويتان فى ذاته طبيعة واحدة •

ولكن قد يقول قائل أما ترى أن الرأى الذى تقوله هو رأى خطير ؟ الأننا على قولك ، كل انسان ، طالمـــا له جسد كالذى أتخذه المسيح ، سيكون من الخراف ، وسوف لا يبقى انسانا واحدا خارجا عن قطيع المسيح ، بل كلهم سيكونون أصدقاءه وخاصته • فماذا تعنى اذن (ياء الملكية) فى كلمة خاصتى ؟ ومن من البشر سوف لا يكـــون من خرافه ؟ لان الرابطة التى تربطنا به هى رابطة مشاعة للجميع ، فمن هم خاصته اذن المقربون اليه؟

نجيب على هذا ، بأن الرابطة التى تربطنا بالمسيح هى رابطة مشاعة للكل على الســـواء : للذين يعرفونه ، والذين لا يعرفونه ••

لأنه قد صار انسانا ليس ليرحم قبيلة دون أخـــرى • ولا ليكون له حزبا خاصا ولكنه أتى ليترآف على طبيعتنـــا الساقطة كلها • فمن البشر من عثروا به ، وعصوه وتكبروا عليه ، هؤلاء لا ينتفعون من مراحمه شيئا • أما محبيه فلهم مجازاة خاصة ••

كما أنه بقيامته من الأموات ، قد أمتدت أمكانية القيامة الى كل البشر •

فجسد مخلصنا القائم من القبر ، رفع الطبيعة الانسانية فى كل الناس الى القيامة فالذين يحبون الخطيئة لا يستفيدون من قيامتهم شيئا ، لأنهم سيلقون فى الجحيم ، وستعود اليهم حياتهم كى يعاقبوا فقط • أما الذين تبعوا طريق الحيـــاة ،

سيربحون فى قيامتهم من الأموات ، لأنهم سينالون موهبة الفرح الذى يفوق ادراك عقل الانسان .

على هذا القياس ، اعتقد ان كل البشر – أبرارا وأشرارا – لهم امكانية اقامة علاقة بالمسيح له المجد ، ولكنها ليست بنفس القوة للجميع . فعلاقة المؤمن به علاقة محبة حقيقية ، ترضى عربون المجازاة الأبدية . أما غير المؤمنين فعلاقتهم به علاقة فزع وخوف من أجل آثامهم ونكرانهم للجميل .

تمعنوا يا أحبائى وتفطنوا أى الاختيارين تختارون .

لاحظوا معى أيضا تناسق فقرات الاية : فانه لم يقل خرافى تعرفنى وأنا أعرفها بل جعل نفسه هو البادئ بمعرفة خرافه وبعد ذلك سيكون معروفا من خرافه (٦) فلو كان المقصود هو المعرفة الادراكية كما قلنا سابقا ، سيختل المعنى ، لأننا نحن لم نعرف عنه أولا ، بل هو الذى عرفنا . ولذلك يكتب الرسول بولس :

« لذلك أذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا فى الجسد ، المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعا باليد فى الجسد ، انكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح . أجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد ، لا رجاء لكم وبلا اله فى العالم ، ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح » (أفسس ٢ : ١١ – ١٣) .

---

(٦) لأنه هو الذى يعطينا استنارة لمعرفته .

لقد أقترب المسيح الينا نحن الأمم ، من أجل مراحمه التى لا تحد ·· انه هو الذى سبق فعرفنا ، وليس نحن ·· هو الذى سبق وأنشأ علاقة ألفة معنا ·· ونكرر مرة أخرى : لسنا نحن البادئين فى هذه العلاقة بل الله ابن الاله الوحيد **لاننا لم نأخذ طبيعة الالوهية ، لنرتفع اليه ، بل هو الذى صار انسانا من نسل ابراهيم ، وهو لم يزل الها بالطبيعة ·**

لقد شابه اخوته فى كل شىء ماخلا الخطيئة ، كى يقبلنا فى علاقة معه لم يكن انسانا منذ الازل ، ولكن فقط فى ملء الزمان ، لذلك تحتم بالضرورة ان يقول انه سيعرفنا حتى يمكننا أن نعرفه ·

وأنا أضع نفسى عن خرافى :

انظروا يا احبائى : أن المسيح يعد ، وكأنه ينذر نذرا ، بأنه مستعد أن يقاتل ويواجه الآلام دفاعا عن اصدقاءه واحباءه وبذلك يؤكد أيضا أنه بالحقيقة الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف لان الرعاة الذين يتركون خرافهم لمواجهة الذئاب ويهربون هم اجراء وجبناء أما الرعاة الذين يدافعون عن خرافهم مواجهين الموت بلا اهتزاز ·· فهم المستحقون حقا ان يقال عنهم انهم رعاة صالحون ·

انه بهذا القول ، قد بكت الفريسيين ·· وجعلهم يصلون الى درجة عالية من الحنق عليه حتى انهم كادوا يميتونه ·· أما الشعب الذى كان يسمعه فكان معجبا به اعجابا شديدا من أجل اعمال حنانه ، ومن أجل حكمته ومن أجل اصراره بأن يغذى قطيعه بالتعاليم الالهية المحيية ·

ضعوا فى اذهانكم يا احبائى ، بأن ربنا يسوع المسيح قد تقدم الى الموت باختياره ، ولم يعان الموت متضررا ٠٠ لقد كان سائرا نحو الموت بمشيئته الخاصة وما كان اسهل عليه ان يتجنب الآلم والموت ٠ ولكنه اراد ان يتألم بمحض اختياره لقد تألم من أجلنا بمسرته ٠٠ ونحن ادركنا عظمة حبه وصلاحه نحونا ٠

ولى خراف اخر ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى أن آتى بتلك أيضا فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة لراع واحد ٠

هنا يعلن يســـوع للفريسيين الذين كان متراخين فى رعايتهم للخراف عن قراره الالهى بأنهم قد اعفـــوا من مهمة الرعاية ، وانه هو الذى سيتولى رعايتها بنفسه الآن ٠ وأنه سيضم قطعان الأمم مع من يكون ذا نية طيبة من الشـــعب اليهودى ٠٠٠ انه ليس راعيا لاسرائيل فقط ، بل سينتشر نور مجد المسيحية فى أنحاء الأرض كلها ٠ وسيدعى الشعوب من جميع بقاع العالم الى معرفة الله ٠ فلم يعد الله محـــدودا ومحصورا فى شعب اسرائيل رغم أنه كان البداية ، بل قصد الله فى مراحمه غير المحدودة ان يعطى معرفة الله الحقيقية لكل البشر تحت السماء ٠٠

هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح فى الأسفار المقدسة وسهلة البيان جدا « أم الله لليهود فقط أليس للأمم أيضا ؟ بلى للأمم أيضا » (رو ٣ : ٢٩ ، أنظر غلاطية ٣ : ٢١ ــ ٢٩) الأسفار الالهية مليئة بالآيات والشهادات التى تثبت هـــذه

الحقيقة ، يحسن أن نذكرها باختصار تاركين دراستها التحليلية للعلماء :

الله الآب يقول فى سفر اشعياء : « ها أنا قد اعطيته ان يكون شاهدا للشعوب ، وقائدا وسيدا للأمم » (أش ٥٥ : ٤)

فالمسيح اذن هو معلم الشعوب الطريق الذى به يخلصون .

ثم يدعو المرنم الالهى داود جميع الأمم معه ، داعيا كل من تحت الشمس أن يشارك فى الاحتفالات السمائية فيقول « ياجميع الأمم صفقوا بايديكم هللوا لله بصوت الابتهاج » (مز ٤٦ : ١ ، ٨ ، ٩) .

وفى موضع آخر يتحدث المرنم ، ويعلن مجد الرب لكل الشعوب فيقول : « اسمعوا هذا يا جميع الشعوب ، اصغوا يا جميع سكان الدنيا . عال ودون ، اغنياء وفقراء سواء فمن يتكلم بالحكم ولهج قلبى فهم (مز ٤٩ : ١ — ٣) .

المسيح فى هذه الآية كأنه يستعير صوت داود المرنم كى يعلن للأمم أنه هو المعلم لهم .

فجماعة الأمم سيتضمون الى المتجددين من اليهود ويكونون رعية واحدة لراع واحد ... هو :

ربنا يسوع المسيح
الذى له المجد من الآن والى الأبد
آمين ؟

عربون المجـــد (*)

تجلى ربنا والهنا ومخلصنا الصالح

+ فكرة تجلى ربنا يسوع المســـيح جاءت كتشجيع لوصية انكار النفس وحمل الصليب ، وكأن المسيح يرينا نموذج المجد الذى سنتمجد به ، حين ننكر ذواتنـــا من أجله فيغير جســـد تواضعنا ليكون على صورة مجده .

+ ظهور موسى وايليـــا معه يبين انه رب الناموس والانبياء ويبين أنه رب الحياة والموت وقوله بأنه مســـاو للآب يوافق عليه النـــاموس والانبياء .

+ كان موضوع الحديث مع موسى وايليا آلامه وقيامته لأنها محور الناموس والانبياء .

+ فى بشارة لوقا ، جاء صوت الآب بأن تسمع للابن الحبيب وقت مفارقة موسى وايليا له ، كى يبين أن الطاعة ينبغى أن تكون للمسيح وحده .

أيها الاحباء .. اننا تواقون الى المجد السمائى ونتحرق شوقا لننال نصيبا وميراثا صالحا مع السمائيين المغبوطين لذلك

(*) هذه العظة القيت فى كاتدرائية القديسة مريم بمدينة أفسس .

P.G. 77 Col. 1009 Hom. 9.

فنحن كالذين يمارسون رياضة المصارعة ، فاننا نلاحظ انهم يتشجعون من تصفيق الجماهير لهم وتلهبهم رغبة الحصول على جائزة الفوز ، هكذا نحن نفرح بمواجهة القتالات من أجل المسيح • ونحرص ان تكون حياتنا بلا عيب ، ناقضين عنا كل تراخ ، ولا نقبل على أنفسنا اطلاقا اى جبن مشين • بل نتحمل بجولة كل الهجمات التى يشنها مضادونا علينا • متيقنين أن تألمنا من أجل الرب هو ربح عظيم لنا •• كما قال الطوباوى بولس : « ان آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد الذى يستعلن فينا » (رو ٨ : ١٨) •

ها هوذا ربنا يسوع المسيح يهىء اذهان تلاميذه القديسين لواقعة التجلى بطريقة جميلة ، فيقول لهم (١) « ان اراد احد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى • فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (مت ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) •

يالها من وصية شديدة الوقع ، ولكنها نافعة جدا للقديسين المكرسين • انها الوصية التى تقود الى المجد السماوى الذى نتوق اليه ونبلغنا حالة الفرح الأبدى •

يستحيل يا احبائى أن تضيع ارادة التألم من أجل

---

(١) القديس كيرلس يحرص ان يضع كل واقعة وكل آية فى سياقها العام فى الكتاب المقدس ، وهذا منهج تفسيرى أمين •

المسيح سدى ، كلا بل هذه الآلام هى التى ستأتى بنا الى فرحة الحياة الأبدية ومجدها .

ولما سمع التلاميذ هذه الوصية وهم تحت الضعف البشرى تسائلوا فى دواخلهم قائلين : كيف يستطيع الانسان أن يكفر بنفسه ؟ كيف لانسان بعد فقد حياته يجدها مرة أخرى ؟ ما الفائدة التى سيجنيها الانسان من ضياع حياته ؟ وما هى نوع المجازاة التى ستكون مكافأة له ؟

وبعدما أثار المسيح ـ له المجد ـ هذه التساؤلات فى أذهانهم سمى بعقولهم ، معطيا اياهم مذاقة ذاك المجد العتيد أن يمنحه لهم فقال « الحق اقول لكم ان من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته » (متى ١٦ : ٢٨) .

ترى هل ستطول أعمارهم حتى تأتى نهاية الازمنة ، فيرون ملكوت الله المعد لتقديسيه آتيا من السماء ؟ كان يمكن لرب المجد أن يفعل هذا ، فهو القادر على كل شىء ، ولا يوجد أى أمر يعصى عليه . ولكنه قصد أن يدعوهم الى تلك الرؤيا المجدة وهو متجليا ، حيث سينير أمامهم كالشمس .

لأن المسيح فى مجيئه الثانى ، سوف لا يأتى بهيئتنا المتواضعة بل بمجد الله الاب . ومن أجل أن يريهم ذاك المجد صعد الى جبل عال ، آخذا معه الثلاثة الذين أختارهم من الاثنى عشر ، وهناك تجلى بهيئة كائن ممجد عجيب حتى أن

ملابسه نفسها بدأت تلمع أيضا • فقد كان متسربلا بالنور : « اللابس النور كثوب » •

حينئذ ظهر معه موسى وايليا (٢) يتحـــدثان معه عن صلبه وموته الذى كان عتيدا أن يكمله فى أورشليم • انهـــا تدابير خلاصنا ، وسر فداءنا بتجسده وآلامه المحيية الموضوع الذى كان يشغل أذهانهم ••• ذاك الخلاص العجيب الذى أتمه على الصليب • فناموس موسى ، ما هو الا مثالات المسيح • وكلمات الانبياء ما هى الا ظلال أسرار المسيح •

الناموس والآنبياء هما اعلان مسبق عن مجىء المسيح (٣) موسى يمثل الناموس فى مثالاته وتشبيهاته ولوحى عهده • وايليا يرمز الى الانبياء الذين سبقوا فأخبروا بأنواع وطرق شتى عن ظهور المسيح بيننا لأجل خلاص البشر ، لكى يعطى حياة أبدية لنا ، وأخبروا عن صلبه عنا كلنا •

كان موسى وايليا واقفين بجواره يتحدثان معه ، وهذا أيضا اشارة أن الناموس والانبياء قد بلغا غايتهما • وهـــذا يفهمنا أيضا أن المسيح هو رب الناموس ورب الانبياء • انه الشخص الذى يجمع فى ذاته كمال الناموس ، ويحقق كل

---

(٢) موسى وايليا كانا فى نفس المجد والبهاء ، لأن بطرس طلب ثلاث مظال وليس مظلة واحدة • وهكذا أشرك المسيح خليقته فى مجده •

(٣) ما أجمل أن نكتشف ان الكتاب المقدس بعهديه يدور حول شخص المسيح •

نبوات الانبياء • فالقديس موسى يجتمع مع أقدس الانبياء وهو ايليا حول المسيح وهكذا فى شخص المسيح المبارك ينسجم ما أعلنه الناموس مع ما قالته الانبياء •

يمكننا ان نتأمل تأملا آخرا :

لقد ظهر ايليا معه ، وهو يعتبر عميد الانبياء ، كى يبطل تقولات الناس عنه بأنه أرميا ، أو ايليا ، أو واحد من الانبياء • لكى يروا من منظر التجلى عظم الفرق بين السيد والخادم •

أيضا ظهر مع موسى ، كى يبطل اتهاماتهم له بأنه كاسر للناموس ، ومجدف وأنه يدعى لنفسه المجد الخاص بالله وحده قائلين عنه : « هذا انسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » (يوحنا ٩ : ١٦) وأيضا « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف • فانك وأنت انسان تجعل نفسك الها » (يو ١٠ : ٣٣) فقد أوضح بهذا أن كل تقولات الناس عليه باطلة ، وأنها ناتجة عن مكر وليس عن اتهام واقعى ••• فهو ليس مجدفا ، ولا متعديا على الناموس ، ولم يغتصب مجد الله لنفسه حينما قال أنه مساو للآب •

ان ظهور موسى الذى أعطاهم الناموس معه هو أنصع برهان أنه لم يكسر الناموس كما توهموا • واليهود كانوا يعرفون أن ايليا كان انسان غيورا على مجد الله ، فلو كان المسيح عدوا لله باعلانه **انه مساو للآب** ، لما وقف ايليا بجواره بهدوء •

وفى هذا أيضا يمكننا أن نتأمل تأملا آخر :

لقد ظهر موسى انذى قد مات ، وايليا الذى يعرفون أنه ما زال حيا ، مع ربنا يسوع المسيح فى المجد ، كى يعرفوا أن له السلطان على الاحياء والاموات معا • لقد استحضرهما ، ووقفا معه — ليس صامتين — بل تحدثا عن مجده الآتى . وآلامه وصلبه الذى سيكملهما فى أورشليم • وعن القيامة والتجديد •

لقد غفى التلاميذ القديسون برهة وجيزة تحت تأثير الضعف البشرى • بينما كان المسيح مستغرقا فى الصلاة • ولما استيقظوا ، أنبهروا من منظر التجلى العجيب • وظن بطرس الطوباوى أن يوم الملكوت قد أتى ، وتمنى البقاء على الجبل • وبدون أن يدرى ما يقوله ، نطق مقترحا بناء ثلاث مظال • ولكنها لم تكن ساعة نهاية العالم بعد ، ولا حتى فى أيامنا هذه ستكون نهاية العالم (٤) وعلى العموم ، ان رجاء جميع القديسين فى كل الاجيال هو الوعد الذى سيكون لنا فى المستقبل كما كتب بولس الرسول : « **سيغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون على صورة مجده** » (فيلبى ٣ : ٢١) وجسد مجده يعنى به جسد المسيح الممجد •

عند ساعة التجلى ، كانت تدابير الخلاص فى بدايتها ولم تكن قد أستكملت بعد ، لذلك ، يستحيل أن يبقى المسيح تحت مظلمة المجد دون ان يستكمل خطة الخلاص : يستحيل

---

(٤) لعل القديس كيرلس قال هذا القول بروح النبوة •

أن يتخلى المسيح عن رغبة التألم من أجلنا ، وهو الذى أتى الى العالم من أجل حبه ٠

حينما مات المسيح فى جسدنا ، أفتدى طبيعتنا ٠٠
وحينما قام من الأموات حرر هذا الجسد ٠٠

لذلك كتب : أن بطرس الرســـــول لم يكن يعـــلم ما يتكلم به ٠٠٠

فى هذه الرؤيا السرائرية العجيبة لمجد المسيح ، حدث شىء آخر فى غاية الأهمية والنفع بالنسبة لنا ٠ كى يقوى ايمان التلاميذ فى معلمهم ، وليس ايمان التلاميذ فقط ، بل وايماننا نحن أيضا ٠ لأنهم قد سمعوا صوتا آتيا من العلاء قائلا : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت **له أسمعوا** » ولما صار هذا الصوت لم يروا أحدا الا يسوع **وحده** ٠

ماذا يقول اليهود المعاندون عن هذا فى قلوبهم الممتلئة كبرياء وتمردا ، غير السامعة لأى مشورة ؟

الآب يأمر التلاميذ القديسين ــ فى محضر موسى ــ أن يسمعوا للمسيح ٠ فلو أراد أن يجعلهم يطيعون ناموس موسى لكان الصوت يقول لهم : « اسمعوا لموسى ، واحفظوا الناموس » ولكن الله الآب لم يقل هكذا ٠ ولكنه أمرهم أن يطيعوا المسيح وهم فى حضرته مع موسى وايليا ٠ ولكى يؤكد الصـــوت ان الطاعة تكون للمسيح وحده ، ظل الصوت يتردد حتى بعدما رفع التلاميذ أعينهم فوجدوا موسى وايليا يفارقانه ، ولم يجدا غير يسوع وحده ، والصوت مازال يتردد كما أكد القديس لوقا فى بشارته ٠

فحينما أمر الله الآب الرسل القديسين مخاطبا اياهم من السحاب أن يسمعوا للمسيح ، كان موسى قد رحل ، وايليا لم يعد يقف هناك ، ولم يكن سوى يسوع وحده • فالأمر الموجه للتلاميذ ، هو أن يطيعوا المسيح وحده لأنه هو كمال الناموس والانبياء •

لذلك خاطب يسوع اليهود مرة قائلا :

« لأنكم لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى » (يوحنا ٥ : ٤٦) •

ولكن من أجل انهم رفضوا كلمات القديس موسى الحكيم ، واحتقروا نبوات الأنبياء القديسين ،

لذلك استحقوا أن يشجبوا ، وأن يتغربوا عن بركات المواعيد التى كانت لآبائهم •

لأنه مكتوب : « ان الاســـتماع أفضـــل من الذبيحة ، والاصغاء أفضل من شحم الكباش » (صموئيل الأول ١٥ : ٢٢)

هذا هو الحال لليهود الذين رفضوا الايمان بالمسيح •••

أما نحن ، فقد صار لنا كل شىء بالمسيح •

الذى به وله ومعه ، المجد والكرامة

لله الآب ، والروح القدس

الى أبد الآباد

آمـــين ؟

الاستعداد للبصخة المقدسة (*)

+ التوبة هى البهجة بعمل المسيح الذى غسلنا من خطايانا ·

+ الصوم هو احتفال مفرح ، وهو فضيلة تقربنا الى الله ·

+ دنس اليهود وصل الى كونهم قد كرهوا الله ، ورغم ذلك يتباهون بحفظ الناموس ·

+ ينصح عمليا بالاكثار من قراءة الأسفار المقدسة ، ومحبة القريب بكل الوانها ، وطهارة النفس من كل دنس ·

+ الصوم ٤٠ يوما بما فيهم أسبوع البصخة ، والتعييد للقيامة يستمر حتى العنصرة ·

---

١ ـ ها هوذا أسبوع البصخة المبارك يقترب الآن مشحونا بالنعم والبركات · فبعدما طرحنا عنا وزر خطايانا بعمل التوبة ، نتقدم لنحمل نير الخلاص الذى لله الكلمة · الذى نزل الينا من السماء · ونسمع تعزيات عمانوئيل الهنا الرقيقة

(*) P.G. 77 Col. 850 Homilia Paschalis XXI.

تحمل لنا ملء اليقين بأننا سوف لا نعود نكبل بالخطايا بعد ، ولا ترهقنا الآثام بعد الآن (١) .

اننا نجتمع فى الكنائس فى هذا الأسبوع المبارك ، قلوبنا يملأها الفرح .. فنرفع كلنا أصوات الحمد والتسبيح للمسيح مخلص البشر **فى وقع وأنسجام مقدس** لأنه غسلنا من وصمة العار القديمة : تلك الوصمة التى توارثناها عن أبينا آدم هاتفين عاليا بمسرة الأنتصار : « **المسيح أفتدانا من لعنة الناموس ، اذ صار لعنة لأجلنا** » (غلاطيه ٣ : ١٣) .

كنا مطرودين من فرح الفردوس بسبب غواية الشيطان الشريرة ، وجلبنا على أنفسنا غضب الله وحكمه العادل ، الذى ملأ قلوبنا بألاسى : « أنت تراب والى التراب تعود » (تكوين ٣ : ١٩) .

كنا مذلولين من أرهاب الطغيان الشيطانى ، فى حالة من القهر والبؤس لا نجرؤ ولا حتى الى رفع عيوننا الى السماء طلبا للرحمة ..

أين هو سبيل الخلاص ؟ لقد تاقت نفوسنا اليه ...

وما هى الوسيلة ليحصل كاسرو الوصية على الغفران ؟

---

(١) التوبة فى نظر القديس كيرلس ، هى ان نطرح عنا خطايانا ، واثقين ان المسيح قد غسلنا منها . ونختبر نعمة المسيح التى تقوينا حتى لا نعود نخضع لها بعد ، وبذلك نرنم ترنيمة الأنتصار والقيامة .

حقا ، لا يوجد الا رأفات الله ، ومراحمه ، وطول أناته ... فكما أنه غير مرئى ، وغير محوى ، وفائق العظمة ، هكذا أيضا هو غير محدود الرحمة والشفقة . **لقد أرسل أبنه مخلصا وفاديا ، وهو الوحيد الذى له القدرة أن يحرر الجنس البشرى من قبضة الشيطان :** « الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد » (فيلبى ٢ : ٦) .

لقد أتى بالمراحم اللانهائية .. أتى بملء حنان ابن الآب الوحيد ، **وهو المساوى له فى القوة والمجد والسلطان ، الكائن الا الابد مع أبيه خالقا وجابلا للسماء والأرض ، وللملائكة والناس .**

+ لقد شابهنا فى كل شىء ما خلا الخطيئة وحدها .

+ لقد أخذ صورة عبوديتنا كى يخلصنا كلنا ، ويعود بنا الى الله الآب متحررين من كل أثم ، ومن كل وصمة خطيئة .

من أجل ذلك بدأ تدابير خلاصنا بالصوم ، وعانى الجوع زمانا وهو الذى كانت حياته بلا عيب ، هكذا فلنجعل نحن أيضا الصوم فاتحة الاحتفالات المقدسة (٢) « اذا لنعيد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الأخلاص والحق » (١ كو ٥ : ٨) ولنحفظ أنفسنا ثابتين فى الطهارة والنقاوة ، نازعين نحو طويق الحياة المرضى عند الله . ولا نكن

---

(٢) نلاحظ أنه جعل الصوم عيدا واحتفالا . وهذا هو المفهوم الأرثوذكسى السليم للصوم .

كالعبيد البطالين حتى فى الزمان المحدد نسمع كلمات الرب يسوع : « نعما أيها العبد الصالح الامين ، كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير » (متى ٢٥ : ٢٣) .

يا لوفرة ثمار صوم الانسان الذى بصومه يترجى الله !

اننا لا نصوم أيها الأحباء كاليهود الذين سمعوا من الله هذه الكلمات المخيفة « ليس هذا الصوم أقبله يقول الرب » لذلك لم يلتفت الرب اليهم فى صـــومهم بل وبخهم بكلمات أشعياء النبى : « ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ، أمثل هذا يكون صوما لى ؟ » (أشعياء ٥٨ : ٤) .

أما نحن فاننا نصوم وقد أخذنا كل الوسائل المؤكدة للخلود .

نصوم ومعنا الصك المعتمد للدخـــول الى ملكوت السموات .

نصوم ونحن مؤسسين على أساس الحياة الأبدية القوى .

فالمطلوب منا ، هو أن تكون حياتنا صالحة من كل الوجوه ، ثم يضاف الصوم الى فضائلنا المتكاملة الواضحة ، فيكسبنا فرحا وصفاء .

من أجل ذلك : « لنطهر ذواتنـــا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) وهكذا نقف أمام عرش المسيح بدالة وبدون خوف وننـــادى اليه قائلين : « ها قد أتينا اليك ، لأنك أنت الرب الهنا » (أرميا ٣ : ٢٢) .

٢ ـ لم يرض اسرائيل أن يرجع الى الرب الهه ، لذلك سمع الله يتكلم بفم أشعياء النبى أيضا : « ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الاثم ، نسل فاعلى الشر • أولاد مفسدين ، تركوا الرب ، استهانوا بقدوس اسرائيل ، أرتدوا الى الوراء • على م تضربون بعد تزدادون زيغا » (١ : ٤) •

اليهود لا يعترفون بالمسيح ، انهم لم يتأثروا بالمعجزات التى أجراها المخلص ، ضاربين عرض الحائط بالشهادات الالهية المكتوبة عنه • بل تمادوا فى غيهم ، فشتموه وأهانوه قائلين عنه : « هذا لا يخرج الشياطين الا ببعلزبول رئيس الشياطين » (متى ١٢ : ٢٤) •

يا لجنونهم !! لقد وصلوا الى درجة كراهية الله ، وهل من دنس أفظع من هذا ؟

« لا يعلمون ، ولا يفهمون فى الظلمة يتمشون • لقد ضلوا من صغيرهم الى كبيرهم » (مزمور ٨٢ : ٥) •

ان كنتم أيها اليهود لا تعرفون المكتوب عن المسيح ، وان كنتم لا تفهمون شهادات الانبياء ، فلماذا تفتخرون وتتشامخون فى أنفسكم كأنكم قوامون على الناموس ؟ أنظروا وتفطنوا ، متى وأين تحققت النبوة القديمة : « حينئذ تتفتح عيون العمى ، وآذان الصم تتفتح • حينئذ يقفز الاعرج كالايل ويترنم لسان الاخرس » (أشعياء ٣٥ : ٥ ، ٦) •

أتظلون الى الأبد منتظرين عمانوئيل ، وهو قد جاء ؟

أتظلون متوقعين حدوث الأمور التى قد تم حدوثهـــا فعلا ؟

ألا تحرككم كل عجائب ومعجزات المسيح التى حدثت ؟ أتريدون ان تطفئوا شمس البر الساطعة أمام الجميع ؟ أتغمضون أعينكم ، وتسدون آذانكم عن آيات المسيح المثبتة ؟

على أية حـــال ، لقـــد دفعتم ثمن تمرداتكـم مرارة وأفسنتينا • لأنكم مشتتون • ومشردون فى كل مكان على وجه الأرض • انكم محرومون من أرض الآباء وبلا مذبح •

اسمعوا الى واحد منكم وهو باروخ النبى ، اذ قد شهد عليكم شهادة عادلة : « لماذا يا اسرائيل ، لماذا أنت فى أرض الاعداء ؟ قد ذبلت فى أرض الغربة ، وتنجست بالأموات ، وحسبت مع الذين هم فى الجحيم ، انك تركت ينبوع الحكمة » (باروخ ٣ : ١٠ ــ ١٢) •

ليس لديكم ردا على هذا ، وان أجبتم فبكلام غير واضح وبمنطق مغلوط تكابرون على الحق نفسه • لذلك فأســـمعوا اذن لمن هو يقضى للمسكونة بالعـــدل وهو يقـــول لكم : « يا هؤلاء جميعكم القادحين نارا ، المتنطقين بشرار ، أسلكوا بنور ناركم ، بالشرار الذى أوقدتموه » (أشعياء ٥٠ : ١١) •

لقد سمرتم رب المجـــد على الصـــليب ، وهو خالق الكون (٣) وظننتم انكم قادرون أن تضعوا الحيـــاة فى أكفان

---

(٣) يقول معلمنا بولس الرسول : « لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) •

الموت . وكنتم تجهلون أن الطبيعة البشرية تنـــال خلودها بالمسيح .

لقد نزل ربنا يسوع المسيح لكى يغلب الجحيم ، فأمر كل النفوس التى كانت مأسورة فيه أن يخرجوا ، وحرر الذين كانوا فى وثاقات الظلمة وأخرجهم الى النور (أشعياء ٥٩ : ٩) وهكذا أطلقهم لأنه هو ربهم المحب (٤) .

ثم عاد المسيح قائما من قبر الموت مبتهجا بما أنجزه — من اعادة الحياة لمن كانوا هالكين فى الجحيم — وأمر تلاميذه القديسين قائلا :

« **أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس** » (متى ٢٨ : ١٩) .

فلننهل المعرفة اذن من هؤلاء الرســـل وأمثـــالهم من المعلمين ، مصممين من كل القلب أن نطيعهم وحـــدهم دون سواهم . متسلمين ما سلموه من الحق ... وحينما تستضىء أذهاننا بالتعليم الكامل الذى من الأسفار المقـــدسة نهتف لفادينا ومخلصنا الصالح بكلمات موسى النبى :

« من مثلك بين الاقوياء يارب !!

---

(٤) عقيدة غلبة المسيح على الجحيم ، وتحريره للنفوس البارة التى كانت مؤثوقة فيه ، يدعمها هنا القديس كيرلس بتصوير رائع ، ويعتبر انها قد أبهجت الرب يسوع نفسه ، وانها موضوع كرازة التلاميذ وسر قوتها .

من مثلك معتزا فى القداســـة !!
من مثلك غافر الاثم والمعصية والخطيئة !! »
(خروج ١٥ : ١١ ، ٣٤ : ٧)

لا يصدكم اذن عن الايمان بالحق أى مماحك ، بل أسلكوا فى الطريق الملوكى ولا تحيدوا عنه يمنة (أى نحو تعـــاليم الهراطقة) ولا يسرة (أى نحو الجحود وأنكار المســـيح) . أحفظوا الايمان سالما على حاله كما تسلمتموه دون أن تحيدوا أو تميلوا الى الاضاليل ، أو تنخدعوا بمنطق الهراطقة .

سيروا دائما فى طريق خدمة الله الحقيقية .. معترفين بالثالوث الأقدس المساوى : الآب والابن والروح القـــدس . **لأن هذا الايمان مسلم لنا من الكتب المقدسة الموحى بها من فوق** (٥) . ولنعترف بالرب الذى صار انسانا من أجلنـــا ، وولد من العذراء مريم والدة الاله منادين اياه بنفس كلمات الكتاب : « ربى والهى » (يوحنا ٢٠ : ٢٨) .

فلنكن **مرتبين** فى حياتنـــا بواســـطة **التداريب الروحية اليومية** .

ولنطهر ذواتنا من وصمات خطايانا الســـالفة ، مكرسين حياتنا بأستقامة لله لنحيا طاهرين بلا دنس ولا عيب .

لنظهر **حنان الابوة** على الايتام ، ولنهتم باحتياجات

---

(٥) جميل جدا ان يكون ايماننا بالعقيدة ، ليس لأن عقلنا يقبلها ، بل لأن الله هو الذى أوحى بها لنا هكذا ...

الأراضل بكل قداسة وبصفة عامة **كنحب القريب** ونبتعد عن كل آثم .

+ لنأو المحتاجين والمشردين فى بيوتنـــا ، ولنكسر خبزنا للمساكين ، ونكسى العريانين . لأننا بمثل هـــذه الفضائل المعمولة عن حب ، نرضى الله فى كل شىء . وبها نتزين أنفسنا ، ونستطيع بها أن نصل الى فرح الخـــيرات العتيدة التى وعدنا بها الله ..

+ سنبدأ الأربعين المقدسة ــ بمشيئة الله ــ فى التاسع عشر من شهر فبراير .

+ ونبدأ البصخة المقدسة التى لخلصنا الصالح فى الرابع والعشرون من شهر مارس .

+ ونختم الصـــوم فى التـــاسع والعشرون من نفس الشهر فى نهاية المساء .

+ ونحتفل بالعيد ــ طبقا لقول الاناجيل المقدسة ــ فى فجر يوم الرب (يوم الأحد) الثلاثين من الشهر نفسه .

وبعد ذلك نستمر فى العيد الى سبعة أسابيع للعنصرة المقدسة . بهذه الطريقة سنأتى الى ميراث ملكوت السموات ..

فى المســـيح يســـوع ربنـــا
الذى له ومعه يكون المجد والكرامة للآب
الى ابد الآبدين
آمـــين ؟

الفرح الموعـــود (*)

+ الآيات (يوحنـــا ١٦ : ١٦ — ٢٢)
تتحدث عن تعزية ربنا يسوع المسيح لتلاميذه ، وهو على وشك أن يدخل فى آلامه ، ويفارقهم بالجسد •

+ لقد نقل اليهم الخبر قليلا قليلا وبرقة شديدة •

+ المســـيح فى ثلاثة أيام القبـر بشر للأرواح التى كانت فى ظلمة الجحيم •

+ فرح العالم يعقبه حزن أبدى ، وحزن أولاد الله القليل فى هذا العالم ، يعقبه فرح أبدى مع المسيح الحى •

بعد قليل لا تبصروننى ، ثم بعد قليل أيضـــا ترونننى ، لأنى ذاهب الى الآب •

بعدما طمأن المسيح تلاميذه بأنه سيرســـل لهم الروح القدس المعزى ، وأنهم بواسطة الروح القدس ســـيعرفون كل

(*) P.G. 74 in John XI 2.

ما هو ضرورى لهم ، بدأ يحدثهم عن آلامه التى ستكون خاتمتها صعوده الى السماء • بعدها سيتحتم نزول الروح القدس •

لقد أخبرهم أنه سيفارقهم ويعود الى الآب ، وأنهم سوف لا يعرفونه حسب الجسد بعد ، لذلك يخاطبهم بأرق العبارات التى تلطف من حزنهم الشديد • فكم من المخـــاوف والاهوال تنتظرهم من بعد رحيله !

كان الحزن العميق يخيم بسحابته الداكنة حول عقولهم ، وكأنهم فى قبر الفزع يعانون الأهوال غير المحتملة • ان المخلص سيصعد الى السماء ، وسيتركهم بمفردهم •••

ولكى لا يصدم المسيح تلاميذه القديسين بالحقيقة ، انه فوشك ان يموت وأن حقد اليهود عليه قد وصل الى ذروة التآمر على حياته ، أحب أن ينقل اليهم الخبر برفق شديد ، منتقيا أرق العبارات • فقال ان مشقات آلامه سيتبعها سريعا أفراح قيامته • فقال : « بعد قليل لا تبصروننى ، ثم بعد قليل أيضا ترونننى » لأن ساعة موته كانت تقترب ، وسيغيب الرب عن أعين تلاميذه •

ان موته سوف لا يدوم الا فترة وجيزة ، سيبدد فيها كل قوات الجحيم ، وسيفتح أبواب الظلمة ، ويطلق المأسورين الى الحرية • وبعدما يتمم هذا سيقيم هيكل جســـده مرة ثانية (يوحنا ٢ : ١٩) ويترآى لتلاميذه ، من جديد محققا لوعده أنه سيبقى معهم كل الأيام والى انقضاء الدهر كما هو مكتوب (متى ٢٨ : ٢٠) •

رغم غياب المسيح عنا بالجسد ، اذ قد أصعد جسده هذا أمام الآب من أجلنا ، وهو الآن جالس عن يمين أبيه ، الا أنه يسكن بروحه فى كل انسان بار . ويبقى الى الأبد متحدا مع قديسيه بحسب وعده الصادق أنه سوف لا يتركهم يتسامى (يوحنا ١٤ : ١٨) .

لقد أزفت الساعة ، وحان وقت دخول المسيح له المجد فى آلامه ، لذلك يقول : « بعد قليل لا تبصروننى .. » انه سيختفى الموت فترة وجيزه « .. ثم بعد قليل أيضا ترونننى » لأنه سيعود الى الحياة بعد ثلاثة أيام : أثنائها « ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن » (١ بط ٣ : ١٩) .

لقد أحب المسيح البشر حبا جما كاملا . لقد أفتدى الأحياء الذين يعيشون على الأرض ، وليس هؤلاء فقط ، بل قد حرر من كانوا قد أنتقلوا ، حررهم من أسر الجحيم (لوقا ١ : ٧٩) .

ان يسوع يتحدث مع تلاميذه بالقدر الذى يستطيعون أن يحتملوه ، وبالطريقة التى بها تتعزى قلوبهم فقال : « بعد قليل لا تبصروننى ، ثم بعد قليل أيضا ترونننى **لأنى ذاهب الى الآب** . لقد صمت عن كل الحقائق الآخرى ، فلم يبين مثلا متى سيمضى ، ومتى سيعود ، ولأى سبب ؟ لأنه بحسب كلمات المخلص نفسه ، ليس لهم أن يعرفوا الازمنة والأوقات « التى جعلها الآب فى سلطانه » (أعمال ١ : ٦ ، ٧) .

فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ، ما هو هذا الذى

يقوله لنا بعد قليل لا تبصرونني ، ثم بعد قليل أيضا ترونني ولأني ذاهب الى الآب . فقالوا ما هو هذا القليل الذى يقول عنه ؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم .

لم يفهم الرسل المختـــارون من الله تلك الكلمات التى تعلق بها ربنا يسوع المسيح ، لذلك تهامسوا فيما بينهم عن ماذا يعنيه بذلك القول : « ما هو هذا القليل الذى يقول عنه ؟» وكانوا يشكون فى كلمته انهم لا يبصرونه .. أما يسوع ، فكان يعلم بكل ما كان يختلج فى قلوبهم ، وتوقع سؤالهم ، ولكنه أبتدرهم كاشفا ما فى قلوبهم وكأن أفكـــارهم منطوقة أمامه . وبذلك بين أنه هو ألاله العارف بمكنونات البشر . وهل يخفى شىء عن ذاك الذى « كل شىء عريان ومكشـــوف أمامه ؟ » (عبرانيين ٤ : ١٣) ولذلك يقول على شفاة أحد تلاميذه : « من ذاك الذى يخفى المشورة ، ويمسك كلمات فى قلبه ، ويظن أنه يخفيها عنى ؟ » (أيوب ٤٢ : ٣) .

حقا ، انه ينمى ويربى ايمانهم فيه كى يكـــون ايمانا ثابتا غير متزعزع . انه يهىء لهم فرص الايمان ، ويساعدهم بكل وسيلة .

فعلم يسوع أفكارهم وأنهم كانوا يريدون أن يسألوه . فقال لهم أعن هذا تتسائلون فيما بينكم لأنى قلت بعد قليل لا تبصرونني ، ثم بعد قليل أيضا ترونني . الحق الحق أقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح ، أنتم ستحزنون ، ولكن حزنكم يتحول الى فرح .

اذاء التلهف الذى كان يعتمل فى قلب التلاميذ لمعرفة ما كانت تحمله كلمات المخلص من المعانى ، بدأ يسوع يتكلم عن آلامه بأكثر وضوحا . مبينا ما سيتحملونه هم من أحزان . انه يعرفهم بالمتاعب التى سيلاقونها ، ويخبرهم بها مسبقا ، كى يخفف من وقعها عليهم حين وقوعها . فالهجوم المتوقع لا يكون بنفس قساوة الهجوم غير المتوقع . انهم سيحزنون حزنا بالغا لذلك أخبرهم المسيح قبل الاوان ، وعرفهم بوقوع تلك الأحزان كى يكونوا مستعدين لها ، ولديهم القوة لمواجهة المصاعب والمخاوف التى ستكتنفهم .

أيها التلاميذ الحقيقيون : حينما ترون ربكم ملقى لضربات اليهود العنيفة حينما ترون سيدكم يتلقى أشنع الأهانات . . فى ذلك الوقت ، أنتم ستحزنون وتبكون ، أما العالم فسيفرح .

والعالم المقصود به هنا هم الناس الذين لا يكترثون بمسرة الله وأرضاءه ، بل كل أهتمامهم هو عظمة الدنيا وأبهة هذا العالم . وبالتحديد ، جماعة اليهود الاردياء ، وتلك الشرذمة الشريرة الحاكمة عليهم . أعنى الكتبة والفريسيين . فقد كان مخلصنا يسوع المسيح يجلد ويطعن بالحرية ، وهم ينظرون اليه بشماتة ساخرين منه وقائلين له : « ان كنت أبن الله أنزل عن الصليب » وأيضا « يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك » (متى ٢٧ : ٤٢ ، ٤٠) .

يا لها من وقاحة لا تخرج الا من أفواه وقحة كأفواههم !!

انهم يقـــولون هذا لأنهم دنيويون ، أما أنتم يا تلاميذى ، فرغم أنكم ستحزنون وتبكون وتنوحون فى ذاك الوقت ، الا أنكم سوف لا تدومون فى تلك المعـــاناة طويلا لأن حزنكم سيتحول الى فرح • أننى سأقوم ثانية من القبر وأزيل كل أسباب حزنكم • سأضع نهاية لدموعكم ، وأحول نوحكم الى فرح أبدى ، لأننى سأنتصر على الموت السائد على البشر •

وليكن معلوما لدينـــا جميعا ، انه كمـــا أن التلاميذ سيتحول حزنهم الى فرح أبدى ، هكذا الدنيويون سيتحول فرحهم العالمى الى حزن أبدى •

فموت المسيح بالجسد قد ملأ التلاميذ حزنا ، كما ملأ الدنيويين فرحا ، أما نصرة المسيح على الموت فقد كانت نصرة دائمة ساحقة ، لا يسود عليه الموت بعد فبالتبعية ، سيكون فرح التلاميذ دائم وأبدى ، وحزن أهل الدنيا حزن مطبق الى الأبد •

المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت • ولكن متى ولدت الطفل ، لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولد انسان فى العالم • فأنتم كذلك عندكم الآن حزن ، ولكنى سأراكم أيضا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم •

المسيح هنا يوسع تخم تعزية التلاميذ ••• ما أعذب حواره معهم ! مريدا أن يكسر حدة حزنهم بكافة الوسائل • انه يشجعهم بمثل طبيعى جدا ، حتى يصـــبروا ويحتملوا بشجاعة فلا تعصف بهم زوابع الحزن • مؤكدا لهم أن الضيقة التى سيمرون فيها ، ستخرجهم الى عمق الفرح •

فيقول لهم :

ان عملية الولادة يصحبها طلق موجع ومؤلم . ولكنها تنتهى بميلاد انسان جديد . فالمرأة التى ترفض آلام الحمل والولادة لا تنال فرح الأمومة . ومن ترفض الحبل ، ترفض ثمرة البطن . ومن ترفض عروض الزواج ، سوف لا يكون لها أبناء على الاطلاق .

فلا يمكننا أن نحصل على أى أمتياز ، ما لم ندفع الضريبة .

وأنتم أيها التلاميذ : كم ستكون بهجتكم حين ترون انسانا يولد فى العالم ولم يعد خاضعا لموت أوفناء ، أو فساد (ربنا يسوع المسيح هنا يتكلم عن نفسه طبعا)

ويا لعظم فرحتنا نحن به ، لأنه هو الابدية ، وهو عدم الفناء كما يقول معلمنا بولس : **لأنه مات مرة واحدة ، فلا يموت الآن بعد** (رو ٦ : ١٠) .

قولوا لى يا أحبائى ، من الذى سينزع فرحنا منا ؟ نحن الذين نعرف أن مسيحنا حى الآن وسيبقى الى الأبد .

انه ولى نعمتنا ، ومصدر كل عطية روحية ، وكل موهبة صالحة لنا . بلا شك ، لا يستطيع أحد أن ينزع فرح القديسين منهم بحسب كلمات مخلصنا .

أما صالبيه ، فقد أنتزع منهم فرحهم على الفور بنهاية آلامه .

وعليهم أن يتكبدوا حزنا أبديا .

العشاء السرى ، وغسل الأرجل (*)

+ الأفخارستيا تمنحنا قواما روحيا عفيا
+ انها وليمة يدعونا فيها ملك المجد ، ويستقبلنا المسيح .
+ أكل آدم من ثمرة العصيان ، وبالأفخارستيا نتناول جسد ودم عمانوئيل الذى أطاع حتى الموت .
+ الأفخارستيا هى خبز الحياة ، ودن الخلود ، واستنارة الحكمة ، وفرحة النصرة على الخطيئة ، ودواء الطبيعة البشرية .
+ اللاهوت الأفخارستى سر مذهل ، يبين عمق اتضاع الله . الجسد والدم يبينان أن المسيح ليس لاهوتا بلا ناسوت ، ولا ناسوتا بلا لاهوت .
+ غسل أرجل التلاميذ :
١ ــ لنقتدى باتضاع خالقنا .
٢ ــ يعيد تأسيس الخليقة من تراب أرجل التلاميذ .
٣ ــ يشفى التلاميذ من لسعة الحية لعقبهم .

(*) P.G. 77 Homiliae Divesae Hom. — 10 —

١ ـ نعمة سر التناول ٠

أيها الاحباء ، ان قمة الفرح للمسيحيين الاتقيـــاء هو تمتعهم الأبدى بالله وأثمن ما يقتنيه طالبو الحياة الحقيقية هو الاطمئنان تحت ستر العلى ، تحيطهم العناية الالهية ٠ ونحن نعرف بالخبرة ، أن الذين يغذون أجسادهم جيدا بالطعـــام والشراب ، ويوفرون له صنوف الترفيه والتنعم ، يكتسبون بنية قوية وقواما عفيا ٠ هكذا على المســـتوى الروحى ، كل الذين ينهلون من **مياة الراحة** ويتغذون على الرؤى الالهية ، ويرفلون فى الحلل **المزينة بأنواع شتى** ينطبق عليهم قـــول أشعياء النبى : **يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون** ٠

هلموا اذن ، أسرعوا الى مائدة العشاء السرى بايمان لا يتزعزع ، وأنتم لابسون ثوب العرس ٠ لنسع وراء ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء فاننا شركاء الدعوة السمائية (١) ٠

يسوع المسيح يستضـــيفنا اليوم ، محب البشر ى

---

(١) هذا الحديث من المعلم الاسكندرى العظيم ، عبارة عن آيات متصلة ، ان عقل هذا القديس كان منقوعا ومشربا بالاســـفار الالهية الى درجة انه لم يكن يفكر ولا يتكلـــم الا بأسلوبهم وألفاظهم ٠ لذلك سيكون عملا مجهدا أن نتابع كل شواهد النص ، ففى هذه الجملة فقط نجد شواهد من (أش ٤٥ : ٣ ، ١ تى ١ : ٥ ، متى ٢٢ : ١١ ، لوقا ١٤ : ١٦) [عن الانجليزية] ٠

أنتظارنا الآن ليعطينا طعـــاما • تفطنوا فيما قيل ، وارتعدوا عما جرى !

لقد ذبح العجل المسمن وها الآب يفرح ويبتهج •••

ذبح حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم كله •

لقد قدم الابن ذاته بارادته وحده ـ ليس بواسطة أعداء الله ـ فآلامه التى تحملها ، كانت باختياره من أجل خلاصنا •

٢ ـ كرامة الأفخارستيا •

أتوسل اليكم ، لا تضعوا قلوبكم على ضعفى وقصورى فى التعبير ، وعدم أستحقاقى بل ألتفتوا الى شهادة الحق التى أضعها أمامكم • انها كلمات صدرت من أنبيـــاء وعظماء ، وليست كالاحاديث التافهة التى تكون بين العامة فى الأسواق

هل تتخيلون عظمة سليمان وكل مجده ؟ تخيلوا أقصى ما تشاؤون من العظمة والابهة التى كانت للملك سليمان • ولكن سليمان هذا لم يكن سوى حاجبا عنـــد ملك الملوك ، الحاكم من عرش مجـــده فى الاعالى • تخيلوه وهو متسربل بالارجوان الملوكى ، ومتوج بالتاج ينادى فى وسطنا بمرسوم الملك الحقيقى الذى يرفع الملوك ويخفضهم • لأنه ان كان النذير عظيما بهذا المقدار فكم بالاكثر عظمة وسمو الرســـالة التى يعلنها • فلنصغ اذن •• انه يقول :

« الحكمة بنت بيتها ، نحتت أعمدتها السبعة • ذبحت ذبحها ، مزجت خمرها ، أيضـــا رتبت مائدتها • أرسلت جواريها تنادى على ظهور أعالى المدينة من هو جاهل فليمل الى

هنا ، والناقص الفهم قالت له هلموا كلوا من طعامى وأشربوا من الخمر التى مزجتها • أتركوا الجهالات فتحيوا ، وسيروا فى طريق الفهم » (أمثال ٩ : ١ — ٦) •

لقد تحققت الآن يا أحبابى هـــذه الأمور المكتوبة التى قلتها فى مسامعكم • انها كلمات موجهة لك ، تدعوك للوليمة المقدسة المهيأة الآن • ها واهب العطايا يتنازل ويقترب الينا ، ويعرض نعمة الهية أمام أعيننا ها المائدة السرية قد أعـــدت والكأس المحيى قد مزج •••

ملك المجد يدعـــوك ، وابن الله يستقبلك ، وكلمة الله المتجسد يرحب بك • ذاك الذى بنى بيتا لنفسه ، بيت غير مصنوع بيد ، أبدى (**أى ناسوت المسيح**) ربنا يسوع المسيح الفادى الذى هو حكمة الله الآب ، يعطى جسده كخبز ويمنح دمه كخمر ، يقدمهما لنا لنأكل ونشرب !

يا لهذا السر الرهيب !

يا لتدبير الحكمة الالهية غير المدرك !

يا للجود الذى ليس له مثيل !

يا للتنازل والاتضـــاع الفائق !

الخالق يبذل نفسه لمخلوقاته ليقيتهم •• الحيـــاة تهب ذاتها مأكلا ومشربا للبشر المائتين •••

انه يشجعنا ، ويستحثنا ، هلموا كلوا جسدى • فقد أعددت نفسى لكم طعاما هلموا أشربوا الخمر التى مزجتها لكم • لقد مزجت ذاتى مع كل الذين يريدوننى أنا الحياة ذاتها ، قد

شاركتكم فى اللحم والدم ، وبارادتى وحـــدى تجســـدت وتأنست • أنا الكلمة بهاء مجد الله ورسم جوهره • **ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب** » (**مزمور ٣٣ : ١٩**) •

٣ ـ مفاعيل السر •

أتذكرون حين كنتم تأكلون من ثمرة العصيان ؟ وحين كنتم تطيعون المشـــورات الشريرة ؟ آه ••• كم كانت مرة المذاق جدا •

هلموا الآن وتناولوا من طعام الطاعة الذى يطرد كل الشرور خارجا •

آه ••• يا لعذوبة طاعة الله ، كم هى مفيدة للغاية •

لقد أكلتم الحصرم الذى ضرس أسنانكم ، كلوا الان من عصير الكرم الناضج فى أوانه ، فتمتصون حياة لأنفسكم • لقد عرفتم بالتجربة كل نتائج العصيان السيئة أختبروا الآن عمليا فوائد طاعة خالقكم **ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب** •

قارنوا بين تجربة العصيان التى عشتموها ، وتجربة الطاعة التى تعيشون فيها • وازنوا بين الشرور التى عرفتموها أثناء المخالفة ، وبين البركات والخيرات والسلام الناتج عن الطاعة لتعرفوا جيدا **ما أطيب الرب** •

لقد تعـــدى آدم الأول حين مد يده الى الثمرة المحرمة محتقرا وصية الله ومستهينا بقول الرب الذى كان لحيـــاته وخلاصه • فكسر الطاعة المفروضة منه كعبد ولم يثق فى الله ، فصار مذبذب الرأى • فمد يده الى هلاكه ، وقبـــل أن يعقد

صفقة الشر : لقد باع حياة السعادة والبهجة بالله التى كانت بين يديه وأشترى الموت والشقاء • ويا لها من صفقه خاسرة لكل صفقات الشرور !

لقد جلب على ذاته حكم الموت رغم تحذير الله له (تكوين ٢ : ٧) وما زال هذا الحكم ساريا حتى الآن : لقد تعرى من حلة الخلود التى كان متسربلا بها ، وأكتسى برداء الفساد • وبارادته وحده انحاز نحو العصيان وصار موضوعا للموت • وحينما صدر الحكم عليه ، بدأ يدرك ، مميزا بين وصيتى أنا الرب ، وبين مشورة الشرير • ودخل فى حالة النـــدم على تسرعه فى التشكك من وصيتى وكانت هى الحق • وأخيرا صار باطلا وكلا شىء •

لذلك وضع الرب مائدة التناول أمامنا •

٤ ـ لاهوت الأفخارستيا •

وضع الرب مائدة التناول أمامنا ، جسد ودم عمانوئيل الذى أطاع حتى الموت ، ثمار الطاعة موضوعة أمامنا ، نحن الذين كنا مائتين فى العصيان •

+ ذوقوا وأنظروا كيف انى أنا الرب صادق فى كل شىء •••

أنا الحق ، ولا يمكن أن أكذب أو أزيف • أنا شـــجرة الحياة ولا يمكن أن أزهر زهور الموت ، لأنه يســـتحيل أن تتحد الضدان •

+ كلوا منى أنا الحياة وأحيوا ، لأن هذه هى أرادتى •

+ كلوا من الحياة الأبدية التى لا نهاية لها ، لأنى قد أتيت **ليكون لكم حياة وليكون لكم أفضل (يوحنا ١٠ : ١٠)**

+ كلوا خبزى ، لأننى أنا قمح دقيق الحياة المحيى ، وأنا هو خبز الحياة .

+ أشربوا من الخمر التى مزجتهـــا لكم لأنى انا كأس الخلود ...

+ أتركوا جهالات الخطيئة لتحيوا ، وتعلموا أن تختبروا الأمور الصالحة عمليا ، وأستعيدوا أنتم بطاعتكم ما فقـــده آباؤكم بعصيانهم

+ آدم الأول طرد من الفردوس من أجل تشككه وعدم ايمانه بكلمة الله ، أدخلوا أنتم الفردوس مرة أخرى بايمانكم فى الله الكلمة .

+ أطرحوا عنكم قساوة القلب التى كانت فى آدم ، وأقبلوا حبى أنا خالقكم .

+ أسعوا وراء الحكمة لتحيـــوا ، وتكملوا فى فهمكم بمعرفتى .

من كان منكم جاهلا فليقبل حتى يرى نور الحق ، أنا الله ، أنا الأول وأنا الآخر . **معى لا يوجد اله آخر مولود من الله الآب . أنا فى الآب والآب فى (يوحنا ١٠ : ٣٠) ، الذى يرانى فقد رأى الآب أيضا (يوحنا ١٤ : ٩) أنا هو القيامة والحياة (يوحنا ١١ : ٢٥) أنا هو خبز الحياة الذى نزل من السماء ، المعطى حياة للعالم (يوحنا ٦ : ٣٣) .**

أشربوا كأسى ، كى ما تكونوا شركاء فى الحياة الدائمة التى هى أنا • **أنا الكرمة الحقيقية (يوحنا ٩ : ٥) أنهلوا من سرورى •• أشربوا من الخمر التى مزجتها لكم (أم ٩ : ٥) •**

لأن كأس نشوتى هو ترياق فعـــال لكم ، ومسكرى يفجر الافراح فيكم ويذهب عنكم مرارة النفس التى ورثتموها عن آدم أبيكم • لقد هيأت مائدة قدامكم تجاة مضـــايقيكم (مزمور ٢٢ : ٥) •

فى القديم وضعت ملاكا حارســـا على طريق فردوس عدن ، فلا يخطو هناك آدم الذى أفسد ذلك المكان الرائع ، بل فقط ينظر بعينيه ويشتاق للعودة الى سعادته المفقودة • أما الآن ، فقد أعددت لكم مائدة محيية ومبهجة ، تبدل كل أحزانكم الى فرح لا ينطق به ، وجعلتها ضدا للخطيئة التى تقهرك •

+ هلموا كلوا من الخبز الذى يعيدكم الى نقاوة طبيعتكم الأولى ، وأشربوا من الخمر الذى هو بهاء الخلود •

+ كلوا الخبز الذى سيطهركم من المرارة القـــديمة ، وأشربوا الخمر الشـــافى لكل الجراح القـــديمة • هذا دواء طبيعتكم ، وهو العقوبة للحية التى جرحتكم •

+ **لأجلكم صرت مثلكم ، دون ان أتغير فى طبيعتى ولن أتغير** ، كى بواسطتى تكونوا أنتم من طبيعتى الالهية •

+ أتركوا أنفسكم تتغير وتتغير ، الى كل صلاح ، كى فى الاوان المناسب تأتى بالثمرة : حيث تتحول من العالم الى الله ، ومن الجسد الى الروح •

+ أنا الكرمة الحقيقية فى وسطكم ، أثبتوا فى لتثمروا ثمرا شهيا لذيذا •

+ ألتهموا دسم طعامى الالهى ، وأسمنوا • أنا الرب المعطى طعاما لكل ذى جسد (**مزمور ١٣٥ : ٢٥**) وبنوع خاص ، أعطى طعامى لخائفى كما سبق داود وقال : **حنان ورحيم هو الرب • أعطى خائفيه طعاما** (١١٠ : ٥) •

٥ ـ الرمز والحقيقة •

فى القديم أمطرت المن على بنى اسرائيل ، وأرسلت لهم خبزا من السماء قد أعد بلا شغل (حكمة ١٦ : ٢٠) ولكن الشعب العاند الذى أحببته أحتقر هذه المعجزة معتبرا اياها كأنها لا شىء : **اسرائيل لم يعرف ، شعبى لم يفهم** (**أشعياء ١ : ٣**) ليس كهؤلاء أنا أعطيكم ، لأن هؤلاء أعطيتهم المن فى البرية وماتوا ، أما أنتم فاعطيكم جسدى اعطاء لتأكلوا • وكل من يأكل من هذا الخبز سيحيا الى الأبد •

هل تفطنتم هذه الأمور ايها الأحباء ؟ هل أنرت لكم **ذخائر الظلمة** ، وبينت لكم **كنوز الخابىء** فى كلمات ربنا يسوع المسيح التى قالها فى مثل هذا اليوم المقدس ؟ (ربما خميس العهد) •

هل تريدون أن أطيل الحديث معكم عن هذه الامجاد **تلك التى تشتهى الملائكة ان تطلع عليها** (١ بطرس ١ : ١٢) ؟

بكل سرور ، سنوضحها أكثر أمامكم ، ملقين عليها أضواء آيات الكتاب المقدس الساطعة كى يتلألأ الحق من

مصادره الأصيلة • ليس بأن نبعد عن الآيات الموحاة من الله ، أو التلقيل من شـــأنها ، بل نشتاق أن نوضـــح الأمور التى ترشدنا الآيات اليها •

فقط أتوسل اليكم كأنباء محبوبين فى الرب ، أن تصلوا من أجلى كى يمنحنى الرب هذه القدرة ، لا سيما وقد تقدمت بى الأيام ، وأنهكت قواى ، ووهنت حياتى ، وصرت منحنيا من جراء رحلتى الطويلة الصاعدة فوق التل (٢) •

صلوا لأجلى ، كى أستحق التأمل بعمق فيما سلم الينا ، وأتحدث اليكم حديث المسيح البار • ساعدونى أيها الأحباء كى أحمل الاله الذى ولد فى وسطنا ، كما حمله الاسرائيليون طويلا ••• كى ما ندخل معا المدينة الســـمائية ، صـــهيون المجيدة ، ونتأمل بالروح حصونها العجيبة •

كيف ذاك الذى يدبر حتى أقاصى الأرض ، أعد نفسه لعشاء سرى !

كيف ذاك الجالس على الشاروبيم ، ينزل منحنيا الى مائـدة !

---

(٢) لعل كان يجول فى ذهن القديس كيرلس صـــورة هارون وهو صاعد الى جبل هور كى يموت هناك ، وأيضـــا صعود موسى الى جبل عباريم قبل انتقاله • انها نظرة ايجابية مشرقة لرئيس الأساقفة الشيخ (أنظر عدد ٢٠ : ٢٢ ، ٢٧ : ١٢) •

كيف ذاك الذى كان مرموزا له بخـــروف فصح فى مصر ، يقدم نفسه هنا بارادته تقدمة ! انه يأكل مع تلاميذه الرمز (خروف الفصـــح) كمتمم للرموز ، وهو الحقيقة التى تصير عنها تلك الرموز • فبعد العشاء الطقسى أعلن الحق عن نفسه ، فقدم ذاته مأكلا ومشربا لضيوفه معطيا اياهم طعـام الحياة ، متمما النبوات الالهية المنسابة من أفواة الأنبياء منذ القديم • وأسس رسما جديدا من وضعه وتصميمه هو يمتد كنبع دائم الى الجنس البشرى بأسره • انه سر العشاء الربانى الذى فيه يمنح هبات حبه الالهى لكل البشر فى أى زمان وفى اى حال •

وهذا هو نص وقائع الأحداث كما دونها الانجيلى :

« **وغيما هم يأكلون ، أخذ يســوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى • وأخـذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : أشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا** » (متى ٢٦ : ٢٦ ــ ٢٨) •

+ يا للوقائع المذهلة التى هى بداية الأسرار الالهية !
+ المسيح ربنا يبين حرفية الطريق ، وهو يتممه بالروح !
+ يعد أذهاننا بالنماذج والتشبيهات ، ويغدق علينا عطفا فى تقدمته !

فى علية صهيون ، أتم يسوع ناموس الحرف ، ومن علية صهيون أيضا أعلن قيام ناموس النعمة ...

٦ ـ غسل الأرجل :

فلنتأمل الآن فى العظائم التى حـــدثت ليلة العشـــاء السرى ، مكتوب :

« **ثم قام من العشاء ، وخلع ثيـــابه ، وأخذ منشـــفة وائتزر بها ، ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغســـل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها** » .

(يوحنا ١٣ : ٤ ، ٥)

ترى ماذا يحدث أعجب من هذا ؟ وماذا يكون أغرب من هذا ؟

+ **المتسربل بالنـــور كثوب** (مزمـــور ١٠٣ : ٢) يأتزر بمنشفة !

+ **الذى يصر المياـــاة فى سحبه** (أى ٢٦ : ٨) **والذى خيم الهاوية بأسمه المخوف** ، ينحنى بالمنشفة .

+ **الذى يجمع كند أمواه اليم ، ويجعـــل اللجج فى أهراء** (مزمور ٣٥ : ٧) الآن يصب ماء فى لقان .

+ **المسقف علاليه بالمياة** (مزمور ١٠٣ : ٣) يغسل أرجل تلاميذه .

+ **الذى كال بكفيه المياه ، وقاس السموات بالشبر ، وكال بالكيل تراب الأرض** (أشعياء ٤٠ : ١٢) ينشف بيديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس أقدام خدامه .

+ **الذى أمامه تجثو كل ركبة ممن فى الســـماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض** (فيلبى ٢ : ١٠) ينحنى الآن أمام خدامه .

الملائكة أبصرت وأندهلت ، والســـماء رأت وخافت ، والخليقة نظرت وأرتعدت • **فجاء الى سمعان بطرس ، فقال له ذاك : يا سيد أنت تغسل رجلى ؟**

ألم أقل لك يارب من قبل أننى غير مستحق ولا الوجود فى حضرتك ؟ ألم أتوسل اليك : أن أخرج من سفينتى يارب لأنى رجـــل خاطىء (لوقا ٥ : ٨) ؟ من أنا يارب حتى أؤهل لهذا ؟ لو تركتك تغســـل قدمى فستموت نفسى البائسة من العار والفضيحة • كل واحد سيخزينى •• أأكون جسورا الى هذا الحد ؟ لا يارب ، لا تحزن خادمك الغير مستحق أن يدعى خادمك • لن تغسل رجلى أبدا ، اننى أرتعد حين أرى هـــذا ، ويغشى على لمجرد التفكير فيه الله يخدم انسانا ! ملك يؤدى عمل الطاعة لعبد ! سيد ينحنى عنـــد أقدام خادمه ! يا للهـــول ! أتوسل اليك ان تعفينى لئلا يسمع أحد من الذين تحت السماء عن عجرفة بطرس هذه •

بماذا أجاب كنز الحكمة عن هذا ؟

ما أنا فاعله بك يا بطرس سوف لا تفهمه الآن ، ولكنك ستفهمه فيما بعد دعنى أقوم لك بهذه الخدمة المقـــدسة مثـــل أحوتك •• لأنك ان لم تسمح لى سوف لا يكون لك معى نصيب

وبعدما سمع بطرس هذا ، رضخ ولم يعلم بماذا يجيب ، ولسان حاله يقول :

آه يارب ، اننى محاصر من كل الجهات ، لا أريد أن أكون عنيدا • لأن ان خالفتك سأحزن وأتألم • وبرفضى سأجلب على

نفسى العقاب ، وان وافقت فهذا أســـوأ من كل شيء • لذلك فلتنفذ الكلمة الالهية ، وليس غطرسة عبـــد لتســـد الحكمة الالهية ، وليس غباء خادم •

أتتعذب من أجلى يارب حين لا أقبل منك هذه الخدمة ؟ ــ أفعل ما تشاء يارب ، نفذ كل ما فى ذهنك يارب • ان كان ميراثى معك سيكون بغسلك لرجلى فاننى بكل لهفة أتضرع اليك : ليس رجلى فقط ، بل يدى ورأسى • امنحنى هذا الغسل الالهى كى لا أحرم من عطفك • ان كان غسلك لقدمى سيمنحنى رجاء أرادتك التى أعبدها ، ها أنا أمد قدمى لك ، وأمد يدى لك ، وأحنى رأسى لك حتى لا أحرم من وليمتك العظيمة ، وأفرز من ميراث ربى • وأقطع من الفرح غير المنطوق به •• سوف لا أصر على مشيئتى الخاصة مقاوما الله • فقط ليعرف كل مخلوق أن بطرس قد قبل أن تغسل رجليه منك ، كى ينال ميراث الملكوت السماوى ••

٧ ــ سر غسل الأرجل •

حينما فرغ الرب من غسل أرجلهم ، جلس ثانيا وقال لهم « **أتفهمون ما قد صـــنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلمـــا وسيدا ، وحسنا تقـــولون لأنى أنا كذلك • فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض • لأنى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا** » (يوحنا ١٣ : ١٢ ــ ١٥) •

أقتدوا بى أنا ربكم ، فانكم بهذا الفعل المقدس تكونون شركاء الطبيعة الالهية أنا أضع أمامكم طريق العظمة الحقيقية الكاملة :

١ — فى القديم انحنيت لآخذ من تراب الأرض وكونت الانسان بعدما أعددت له فردوسا سعيدا ، وجعلت روحا فوق الأرض أيضا ... والآن انها ارادتى كى أنحنى مرة أخرى عند تراب أقدامكم كى أدعم أساسات خليقتى التى سقطت .

٢ — لقد لسعت الحية الخادعة عقب أبيـــكم ، وجرحته جرح العصيان ، وما زالت متربصة بكم (تكوين ٣ : ٥ ، ٤٩ : ١٧) لذلك هائنذا أنحنى لأشفى هذا العقب الملسوع ، وأسلحكم ضد التنين المتربص ، فلا يعد ينهش كل من كان سائرا فى الطريق المستقيم ... اننى أهيىء أقدامكم وأزودها بسلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يؤذيكم شىء (لوقا ١٠ : ١٩) .

٣ — لقد خدعت الحية الانســـان المخلوق من الأرض بخـــدعة الكبرياء .. وها أنا باتضـــاع متناهى أنهى ذاك الكبرياء .. الواحد بالآخر . لهذا ، أطلبوا الاتضـــاع بكل قلوبكم ، فأنا الرب الذى أشتت المستكبرين ، وأخفضهم ، وأذلهم . وأرفع المتواضعين وأعطيهم نعمة الآن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يواضع نفسه يرتفع (لوقا ١٨ : ١٤) .

لهذا أوصيكم ، وأسلمكم ، أن تحبوا بعضـــكم بعض : بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضـــكم لبعض ...

٨ ـ الخـــاتمة :

لذلك أكرر مرة أخرى : عظيم حقا يا احبائى مجد هـــذا اليوم . لأنه يوم عيد الحضرة الالهية عينها حيث ترفع هـــذه التقدمة الفائقة . ان الله يدعوكم لتـــأخذوا موهبة الخلود ، وعربون الحياة الأبدية .

من ثم أيها الاحباء ، شركاء الدعوة السمائية :

+ لنتبع رئيس خلاصنا ، الذى هو رئيس الكمال .
+ مشتاقين أن يرفع مسكنتنا حسب وعده الصادق .
+ ويسمو بنا الى ذلك الحب الذى يجعلنا نتحد بالله .
+ وليكن ايماننا خالصا نقيا فى الأسرار الالهية المقدسة .

أهربوا أيها الاحباء من كل أنقســـام ، وتجنبـــوا كل بغضاء .. أرفضوا الاقاويل البـــاطلة لا ســـيما تلك التى أخترعتها الافواه الفارغة ، خدام الشياطين المخادعين الذين منهم من أخذ الزى الرهبانى دون أن يعيشوا فى حكمة الرهبنة وسكونها . أولئك هو الذئاب الخاطفة الذين حـــذرنا الرب منهم بشدة . لأنهم بصعوبة يعرفون لأنهم لابسون ثيـــاب الحملان .

أولئك قد اندسوا فى أديرتنا ... تلك الاماكن المحببة الى قلوبنا . وأحدثوا سجسا فى مدينة الله المحروسة .

سيبطل الله ضجيجهم الأثيم كما هدأ البحر الهائج بكلمته ..

هؤلاء الناس ، معرفتهم مغلوطة عن المســـيح الهنـــا الحقيقى ، فيبطلون رجاء خلاصـــنا بالمسيح وقيامتنـــا من الأموات به .

أولئك الذئاب المفترسة اللابسين ثياب الحملان ، الذين لا يعرفون الله ، وينكرون قوته • أولئك المزيفون الاثمة الذين ينكرون ان المسيح واحد مع الآب فى الجوهر من أجل تجسده •

فليقولوا لنا أولئك المشرثرين الحمقى :

+ خراف الكنيسة ، على أى جسد يتغـــذون ، وبأى مياه يرتوى أبناء الكنيسة ؟

ان كان جسد الله هو المعطى لهم ، فالمسيح الرب اذن هو الله حقا ، وليس مجرد انسان ، أو كما يدعون انه ملاك ، رسول من قبل الله ، أو أحد الكائنات غير الفانية .

+ وان كان الكـــأس هو دم الله ، فهو ليس لاهوتا مجردا ، أى أحد أقانيم الثالوث المقدس — أعنى الله الابن — المسجود له .

بل الله الكلمة الذى صار انسانا ... (٣)

---

(٣) من أروع النصـــوص الآبائيـــة التى تبين طبيعة المسيح له المجد فى الأفخارستيا وهاكم النص الانجليزى لها :

On whose Body are the Sheep of the Church pas-**tured,** on what waters are the children of the Church **refreshed** ? For if the Body of God is Given to them, **then** CHRIST the Lord is True God, and not a simple **man,** nor as they say an angel, a minister of God, and **one** of the incorporeal beings. =

+ ان كان جسد المسيح يعطى مأكلا ، ودمه يعطى مشربا • ثم يزعمون أنه مجرد انسان ، فكيف اذن ينال المتناولون من المائدة المقدسة وعد الحياة الأبدية ؟ وكيف نشترك فيه جميعا هنا وهناك ، وفى كل مكان على الأرض دون نقصان ؟

يستحيل ان جسدا عاديا يعطى حياة للمتناولين منه • أم ترى ينظرون الينا كأننا شهود زور لله ؟ اننا أمام محب الحق نعلن كل الحق علنا بكل وضوح • ونعلم الأسرار التى سلمت لنا الهيا (٤) •

ليت الله يفيض علينا غنى نعمته ، حين نذكر هذه الأمور أثناء رفع الذبيحة المقدسة يوم عيد أقدس الأسرار (خميس العهد) فلنتناول من جسد الحياة ••• لأن المسيح الحياة أتخذ جسدا مثل جسدنا ••• كما يقول يوحنا اللاهوتى :

= And if the Chalice is the Blood of God, then it is not simply God, one of the adorable Trinity, the son of God, but God the word made man.

If the Body of Christ is Food, and the Blood of CHRIST is Drink, and so, as they say, He is a mere man, how then is eternal life promised to those who approach the sacred Table ?

(٤) القديس كيرلس هنا يبين سلطانه الالهى فى التعليم •

« لأن الحياة قد أظهرت » (١ يوحنـــا ١ : ٢) وأيضـ « والكلمة صار جسدا وحل بيننا » (يوحنا ١ : ١٤) الذى هو : « المسيح أبن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) الوحـــد من الثالوث القدوس .

ولنتنـــاول من الـــدم المقـــدس لمغفرة خطـــايانا ، ليكون لنا شركة فى الحياة الأبدية : **مؤمنين ان المســـيح هو الكاهن ، وهو الذبيحة فى آن واحد** انه هو المقدم والتقدمة . انه هو العاطى والعطية .

الله غير المتجـــزىء ، وغير المنقسم الى طبيعتين كمثل الثالوث الواحد غير المدرك ، الكلى العبـــادة والتســـبيح ، والسجود ...

الآب ، والابن ، والروح القدس

الى أبد الآبدين

آمـــين ؟

ارسال الروح القدس (*)

+ بالروح القدس نرتفع الى شركة الطبيعة الالهية .

+ حينما يحل الروح القدس على انسان يجعله انسانا آخر .

+ الروح القدس يزيل الخطايا من ساكنيه ، وبذلك يبكت العالم على استمراره فى الخطيئة .

+ وهو الذى يجعل من لم يبصروا المسيح بالجسد يؤمنون به ، فينالون برا . وبذلك يبكت العالم غير المؤمن على عدم ايمانه ، وبالتالى عدم بره .

+ وهو يعرف الناس المفهم الحقيقى : ربنا يسوع المسيح ، وبذلك يدان الشيطان الذى تسلط على الناس بدون وجه حق ، وجعل نفسه الها لهم .

لقد أتم ربنا يسوع المسيح كل تدابيره : من تجسد ، وصلب ، وقيامة ، وصعود الى السماء . وها هوذا يعطينا من روحه كى يكون لنا نصيبا فى السمائيات ، ونكون : **شركاء الطبيعة الالهية** (٢ بطرس ١ : ٤) .

(*) P.L. 74 in Loco.

انه يريدنا أن نترك حياتنا القديمة ، ونتغير الى حياة صالحة جديدة يسر بها الله . ولكن هـــذا التغيير غير ممكن الا باقتناء وشركة الروح القدس الذى حل على الكنيسة فى عيد العنصرة بعد صعود مخلصنا من وسطهم فى مثل هـــذا اليوم الذى نحتفل به الآن .

لأن المسيح حينما كان وسط تلاميـــذه بالجسد ، كان هو مصدر كل موهبة لهم كما أتصور . ولكن لما حان وقت صعوده الى ابيه السماوى ، سيستمر أيضا حضوره وســـط عابديه ، بواسطة الروح القدس الساكن فى قلوبهم بالايمان .

باقتناء الروح القدس نصلى بلا تهيب **يا أبا الآب** ...

وبعمل الروح القدس فينا ، نتقدم فى كل فضيلة ...

وحينما يقيم الروح القدس – كلى القدرة – داخلنـــا ، يجعلنا أقوياء .. لا ننغلب اطلاقا من مكائد شيطان ، ولا ننثنى أمام هجمات بشر .

بسهولة جدا يا أحبائى ، يمكننا أن نبرهن من الأسفار المقدسة – العتيقة والحـــديثة – أن الروح القـــدس يغير من شخصية الانسان الساكن فيه ، ويخلق فيه حياة جديدة :

+ فلقد تحدث صموئيل النبى ، الملهم من الله ، الى شاول قائلا : « **فيحل عليك روح الرب ، فتتنبأ معهم ، وتتحول الى رجل آخر** » (١ صم ١٠ : ٦) .

+ وأيضا بولس الطوباوى يقول : « وأما الرب فهو الروح ، وحيث روح الرب هناك حرية • ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد كما من الرب الروح »

(٢ كو ٣ : ١٧ ، ١٨)

أنظروا مقدار التحول الذى يحدثه الروح القـــدس فى ساكنيه ! انه فى طفرة واحدة ينسيهم مذاقة الأمور الأرضية ليتذوقوا السمائيات • وتصبح الأمور السمائية هى هنيذهم الدائم • الروح القدس يحولهم من اشخاص جبناء يتصرفون بعدم رجوله ، الى شخصيات شجاعة • لقد تغير التلاميـــذ الأطهار على هذا النحو ، فلم تهزهم هجمات مضطهديهم ، بل نراهم يشهدون بقوة عن محبة المسيح • لذلك فقد تحقق لهم فعلا قول مخلصنا : خير لكم أن أنطلق ، لأن وقت أنطلاقه هو أوان حلول الروح القدس •

لقد قال ذاك القول لتلاميذه ليلة آلامه ، كى يلطف من حزنهم الشديد ، وكشف لهم عن عمل الباراكليت بقوله :

« ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة » •

انه يعلمنا بوضوح عن أوجه التبكيت الذى سيبكت به الروح القدس العالم ، ولكن نظرا لأن الكثيرين لا يقدرون أن يدركوا معانيها على الفور ، أشعر أنه يجب على ان أشرح كل فقرة ، وأوضح معانيها :

١ – الروح القدس يبكت العالم على خطيئة .

أول تبكيت للروح القدس هو على خطيئة ... فالابرار الذين آمنوا المسيح ، تنافروا مع الخطيئة . لأنهم آمنوا ان المسيح سيدين الخطاة الجهلة غير المؤمنين . الذين أصروا على عدم الايمان ، والذين أستعبدوا أنفسهم لملذات هذا العالم وأرتبطوا بالرذائل أرتباطا وثيقا . الذين نهـــايتهم التعس والموت .

لأن الله لا يستثنى أحدا ، كأن يعطى روحه للبعض الذين فى هذا العالم بدون سبب عادل ، ويمنعه عن البعض الآخر متعمدا باتا .. كلا .

فالذين يقبلون المسيح ويعبدونه بايمـــان كامل كامله حقيقى معترفين انه هو الخالق رب الكون ، يسكن فيهم الروح القدس . وهذا ما سبق مخلصـــنا وأخبر به قائلا : **ان لم تؤمنوا انى انا هو ، تموتون فى خطـــاياكم** (يو ٨ : ٢٤) **فالباراكليت ، عندما يجئ ويحل على انسان ، يظهر واضحا جليا فى أعمال وتصرفات ذاك الانسان .**

٢ – الروح القدس يبكت العالم على بر .

كما يقول مخلصـــنا : **لأنى ماض الى الآب وســـوف لا ترونني** . فالذين سيؤمنون بالمسيح بعد قيامته ، ويقبلونه كالله حق – رغم كونهم لم يروه – معترفين به انه متوج مع الآب على العرش ، هؤلاء سيحسب ايمانهم برا .

أذكروا ما قاله توما الرسول ، وما فعله ، لأنه مرة قال متشككا فى حقيقة القيامة :

« ان لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع يدى فى موضع الحربة لا أومن »

فبعدما الزمه يسوع أن يفعل هذا ، آمن ، ولكنه سمع من المخلص هذا التبكيت « **لأنك رأيتنى ياتوما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا** » (يوحنا ٢٠ : ٢٩) فالذين قد آمنوا بالمسيح دون أن يروه ، قد تبرروا . أما الذين لم يؤمنوا فليس لهم نصيب فى هذه الطوباوية . لأن العالم غير المؤمن لم يبحث عن بر الايمان ، بل فضل البقاء فى خطيئته .

تبكيت الروح القدس على خطيئة وعلى بر ليس قاصرا على العالم اليهودى فقط بل هما تبكيت لكل انسان معاند ومقاوم للبراكليت .

كلمة العالم ،المقصود بها هنا : كل انسان منغمس فى السعى وراء الملذات ولم يترك عنه الشر الشيطانى ، اينما وجد هذا الانسان فى أى بقعة من بقاع الأرض . تبكيت الروح القدس ، هو لجميع الناس على السواء . فالمسيح ليس لليهود فقط ، وليس لنسل ابراهيم وحده ـ كما كان فى القديم ـ بل دعوة المسيح موجهة الى جنس آدم الساقط كله . الأن نعمة المسيح هى بلا حدود وعطية الايمان ممنوحة لكل العالم .

٣ ـ الروح القدس يبكت العالم على دينونة :

لأن رئيس هذا العالم (أى أبليس) قد دين .

كيف سيدين الروح القدس رئيس هذا العالم ؟ وكيف سيحدث هذه الدينونة ؟ هذا ما سأشرحه فيما يلى :

ان الروح القدس سيعلن مجد المسيح للناس ، فيعبد الناس المسيح ربهم الحقيقى ، عالمين أنه هو بالحقيقة اله الكون كله . وبذلك يفتضح الشـــيطان الذى كان يدعى أنه رئيس هذا العالم . ويعرف العالم كم كان مخطئا فى عدم اكتراثه بمن هو اله بالطبيعة ، وكم انحدر منحطا الى عبادة الشيطان الذى لم يكن فى أى وقت من الأوقات الها ...

فاستعلان الروح القدس للاله الحقيقى ، هو فى حد ذاته ادانه لمن تسلط كذبا ، مدعيا أنه اله ورئيس لهذا العالم .

لقد أفقد الروح القدس الشيطان قوته ، وعلى الشيطان الآن أن يتلقى عقوبة تكبره على الله ، والقاءه فى مهاوى الظلمة .

لقد أنداست كرامة الشـــيطان وهيبته تحت أقدام المؤمنين الروحانيين الذين يعترفون أن المســـيح هو الله لأنهم يطأونه تحت أقدامهم ان هو حاول أن يجربهم أو يضايقهم .

فان رأيتم كراديس الأرواح النجسة تخرج مذعـــورة مهرولة بصلوات شخص روحانى مؤمن ، أما تقولون فعلا ان أبليس قد دين بقوة وعمل الروح القدس ؟

لقد دين حقا فى كونه لا يقدر ان يغلب أولئـــك الذين

ختموا بالروح القدس بالايمان بالمسيح لبر وقداسة الحيـــاة
(أفسس ١ : ١٣ ــ ١٥) ٠

أيضا على المستوى الفردى : اننى أتسائل ، بأى طريقة أستطاعنا نحن **الذين سكنا فى ستر العلى** أن نطأ قوة الشيطان تحت الأقـــدام ؟ كما يصف المزمور : « **تطـــأ الافعى وملك الحيات ، وتسحق الأسد والتنين** » (٩٠ : ١٣) ٠

أليس بمجىء الباراكليت من السماء ؟ **ان الروح القدس ينزل ويحل فى كل نفس بارة بقدر ايمان هذه النفس ــ ويبدأ فى تضييق الخناق على خطـــاياها وعلى الروح الدنيوية التى كانت سائدة فيها ٠**

أما الذين تحولوا عن الفادى ، يبكتهم الباراكليت ، ويمنع نعمة السماء عنهم ٠ عكس من آمنوا دون أن يروا المسيح ولا معجزاته ، ولم يشاهدوه وهو صاعد الى السماء ، أولئك قد تبرروا فعلا ٠٠ وهم الذين قد حرق الباراكليت الخطيئة ولعنتها منهم ٠٠ لأنهم أحبوا يسوع المسيح الرب ، وكرموه بأيمانهم فيه ٠

أعتقد أن بعضا من هذه الأفكار كانت تجول فى ذهن الرسول حينما قال : « **من سيشتكى على مختارى الله ؟ الله الذى يبرر** » (رومية ٨ : ٣٣) فبحسب كلام المرنم : « **يبتهج المستقيمون ويفرحون ، وكل أثم يسد فاه** » (١٠٦ : ٤٢) فلا أساس لادانة المختارين ، المتوجين ببر الايمان ٠٠٠

انبارا كليت يبكت العالم لأن العالم قد ضل ، العـــالم وضع أمله فى ذاك الذى قد دين • وضع رجاءه فى ذاك المجرد من كل مجد وسلطان • العالم خضع بارادته للشيطان ، أما عابدى الله فالشيطان لا شىء بالنسبة لهم •

ان الله يسميه رئيس هذا العـــالم ، ليس بكونه هكذا فعلا ، كلا ، ولكن لأنه مازال يحاول أن يبسط نفوذه بالخداع والارهاب على الخطاة ذوى الارادة الشريرة • فيتســـلط على اذهانهم تسلطا •• ويجعل تفكيرهم خاطئا وهكذا يكبلـــون رازحين تحت نير العبودية •

حتى هؤلاء ، فى مقدورهم أن يهربوا ، ان هم تجددوا بالايمان بالمسيح وبمعرفة الاله الحقيقى •••

لذلك فان أبليس يدعى فقط أنه رئيسا ، وهذا ادعاء كاذب ، فليس له أى حق أن يترأس • ولكنه قد أخذ هـــذا اللقب من أجل الضعف المبقوت الذى فى الضالين من الناس •

الفهـــرس

	صفحة
المقـــدمة	٥
الثقة فى الصلاة	١١
أسرار ملكوت السموات (مثل الزارع)	١٧
المسيح يعيد للخليقة بهاءها	
(معجزة اخراج الروح النجس)	٢٣
الخروف الضال ، والدرهم المفقود	٣٣
الراعى الصـــالح	٣٩
(التجلى) عربون المجد	٥٩
الاستعداد للبصخة المقدسة	٦٧
الفرح الموعـــود	٧٦
العشاء السرى ، وغسل الأرجل	٨٣
ارسال الروح القدس	١٠٢

دروس التربية الكنسية
كتب ، صور
ميداليات ، هدايا
اسطوانات دينية
دورات كنسية ، براويز
مكتبة المحبة
ت ٩٠٣٨٤٥
٢٠ شارع الفجالة بالقاهرة